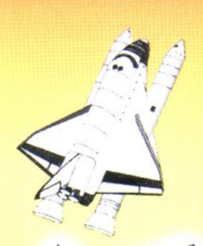
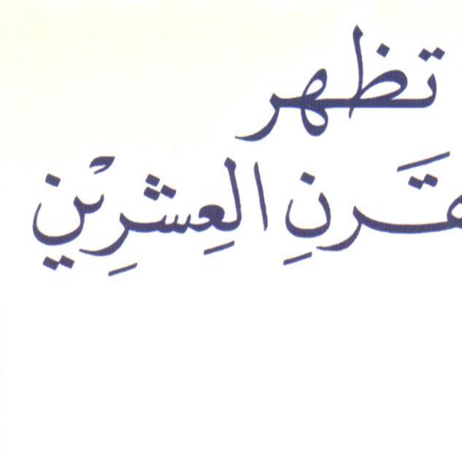
فضيلة العلامة العربي الكبير
محمد أمين شيخو
قدس الله سره



حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

تظهر في القرن العشرين







تقديم
الدكتور مصطفى محمود

جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

فضيلة العلامة الإنساني الكبير

محمد أمين شيخو

قدَّس الله سرّه

حقيقة سيدنا محمّد ﷺ تظهر في القرن العشرين

جمعه وحققه المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

ابن محدث دمشق الأكبر المرحوم الشيخ محمد الديراني

تقديـــم

الدكتور مصطفى محمود

www.amin-sheikho.com
info@amin-sheikho.com

الفهرس

الحسيب النسيب.. ٤

كلمة الدكتور مصطفى محمود... ٥

مقدمة.. ٨

الفصل الأول

الرد على زعم إمكان وقوع الأخطاء من رسول الله ﷺ.................................. ١٢

– ما حقيقة غزوة بدر الكبرى!... ١٨

– رواية أسرى بدر.. ما حقيقتها؟!... ٢٢

– هل النبي العليم جاهل؟!. (وبتأبير النخل) غير عالم!.. ٢٨

– محمد النبي مسحور!.. ٣٤

– هل صلاته ﷺ على المنافقين، أم على المؤمنين والمسلمين!.................................. ٤٠

– هل أخطأ المعصوم ﷺ بإذنه للمنافقين بعدم الخروج؟...................................... ٤٣

– قل إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين.. ما للهوى أمرٌ عليَّ ولا نهي.......... ٤٨

– أتخلى محمّد عن ربّه فأحبّ النساء وأحبّ الدنيا بزواجه من السيدة زينب....................... ٥٥

– أيفضح ربّ العزّة رسوله بعتابٍ أمام العالمين للإذلال!.. ٦٢

الفصل الثاني

هل سيدنا محمد ﷺ كما يقولون مخلوق بشري شاذ!.. ٧١

– الرد على قولهم أن رسول الله ﷺ وُلد مختوناً.. ٧٢

– الرد على قولهم أن رسول الله ﷺ وُلد مقطوع السرة.. ٧٨

– الرد على قولهم أن إبطه الشريف ﷺ لا شعر عليه... ٧٩

– حادثة شقّ الصدر.. ما بعد شقّ الصدر إلا الموت (قصة مختلقة)............................. ٨٣

الفصل الثالث

– الطريق الوحيد لتطهير النفس وتحليتها بالفضائل.. ٨٨

– الإيمان في (القرن العشرين) وكيفية الوصول إليه.. ٩٢

فضيلة العلاّمة الجليل

محمّد أمين شيخو

الحسيب النسيب (قدَّس الله سرَّه)

(١٣٠٨-١٣٨٤)هـ - (١٨٩٠-١٩٦٤)م

نسبه الشريف:

ينسب العلامة محمد أمين شيخو إلى السلالة الهاشمية.. سلالة رسول الله ﷺ، فقد قَدِمَ جدُّه (شيخو) مع أخي جدِّه (يوسف) من الحجاز إلى مصر.. فما طاب لهما المقام إلا في دمشق مهد الأنبياء، وتفرّعت عنهما:

- أسرة بيت (اليوسف) الشهيرة بالغنى والثراء.

- وأسرة بيت (شيخو) التي تحدّر منها فضيلة عالمنا الكبير محمد أمين شيخو.

وكلمة (شيخو) نسبة إلى أسم جدّه (شيخو) المنسوب للشجرة المحمّدية من نسل الحسين عليه السلام.. فهو عربي الأصل هاشمي النسب.

نسبٌ شريفٌ طاهرٌ ساد الورى　　　عـزاً وإجـلالاً ومجداً فـاخـراً

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

مدار الفكر الديني عند العلاَّمة السيد محمد أمين شيخو هو العصمة.. والعصمة الكاملة التامة لسيدنا رسول الله ﷺ.. فالله لا يقول لنبيه في القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، ثم تنتهي الآية.. وإنما تنزل عليه الآية بتمامها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ..﴾[1]. والمعنى أنه بشر ولكنه ليس ككلِّ البشر، فقد امتاز على جميع البشر بأنه موصول بمدد الوحي.. فهو لا ينطق عن الهوى كما ينطق البشر بعادتهم عن الهوى!!. ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[2].

تلك مراقي ومنازل الوحي الذي يتنزَّل على رسول الله ﷺ والرؤى القدسية التي يراها، والعلم الذي يأتيه مباشرة عن ربِّه ولا يأتينا نحن مثله.. فأين نحن من تلك المراقي الربانية.

[1] سورة الكهف: الآية (١١٠).

[2] سورة النجم: الآية (٤-١٤).

ومن هذا المنطلق في الفهم يرى **العلاَّمة السيد محمد أمين شيخو** زيف الأحاديث المدسوسة التي روت عن سيدنا رسول الله أنه سُحر.. وأن لبيد بن الأعصم سحره.. فكان يأتي بالأفعال ولا يدري أنه فعلها.. ويقول الأقوال ولا يدري أنه قالها.. إلى آخر هذا الهراء الذي يرى **العلاَّمة شيخو** أنه أمر يستحيل على مقام سيدنا رسول الله ﷺ.

ونفس الشيء في حديث "تأبير النخل".. الذي اعتذر عنه الرسول وقال للزرَّاع: «**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**».. والحديث الآخر في "غزوة بدر" حينما أفتى الرسول بالنزول في موقع حربي غير ملائم فقال له الحباب بن المنذر: «**يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدَّم أو نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟. قال الرسول: بل هي الحرب والرأي والمكيدة.. فقال الحباب: إن هذا ليس بالمنزل المناسب**».. وأفتى الحباب بموقع آخر أفضل.. فأخذ الرسول بفتواه.

كيف يتصدَّى الرسول لقيادة ليس أهل لها.. وكيف يأخذ بفتوى الحباب وعنده جبريل ونور الوحي الآتي من السماء.

وهل إذا كان الرسول ﷺ قد بُعث في زماننا والتقى في معركة مع إسرائيل وجاءه من الله العلم بأنهم سيلقون على جيشه قنبلة نووية. أكان يطلب الفتوى من أمريكا ومعه جبريل والعلم الإلَهي والقدرة الإلَهية التي تُبطل أي قنبلة لفورها.

إنَّ الرسول ﷺ ليس مجرَّد بشر، بل هو بشر يُوحى إليه من لدن رب العالمين.. وهذا مفتاح فهم قضية النبوة كلها.. وبهذا الفهم ينظر العلاَّمة شيخو إلى حقيقة محمَّد عليه الصلاة والسلام.

ولا شك أن كل مسلم مؤمن يؤيد **العلَّامة محمد أمين شيخو** في هذا المنظور وهذا الفهم للنبوة المحمدية.. وينظر إلى الإسلام كله من هذا المنظور.

الدكتور

مصطفى محمود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الأنبياء صفوة الله من خلْقه وخيرته من عباده اجتباهم هداةً واصطفاهم لأنهم مهديون. بعثهم إلى البشرية عموماً للهداية لأمور الدنيا والآخرة فهم عليمون كاشفون لحقائق الدنيا والآخرة يتنبؤون آنياً ومستقبلاً بالوقائع الثابتة لأنهم بالوحي ينطقون ولأن بصائرهم ثاقبة فلمْ يخفِ تعالى عنهم شيئاً ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[1]، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ . . ﴾[2].

إنَّ عدم معرفة الإنسان بمقام النبوة وما ينشأ عنه من العصمة قد يجر الإنسان إلى الاعتقاد بإمكان وقوع الخطأ من الأنبياء زعماً منه أن الأنبياء كغيرهم من الرجال، وقد يتفاقم به الأمر فينسب لهم الخطأ ويسعى في تأويل أعمالهم العالية بما لا يليق بشرف مقامهم ومكانتهم وفي ذلك ما فيه من تباعد النفس عنهم والحرمان من محبَّتهم وتقديرهم والله تعالى يقول في حق رسول الله ﷺ: ﴿ . .فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

ولذلك من الواجب علينا أن نبيِّن معنى مقام النبوة فإذا نحن عرفنا ذلك استطعنا أن نقر بعصمة الأنبياء وبعدم وقوع الخطأ منهم في أي حال من الأحوال فنقول: إنَّ

---

[1] سورة العنكبوت: الآية (٢٤).

[2] سورة الجن: الآية (٢٦-٢٧).

[3] سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

التقوى هي مشاهدة النفس المقبلة على الله ورؤيتها بذلك النور الإلّهي الذي اكتسبته منه تعالى الخير من الشر والحق من الباطل. فالنور الإلّهي يكشف للنفس المستنيرة بنور ربِّها عمَّا في الأمور المحرمة أو المنهيات من شر فتتقيها بُعداً عن أذاها وضررها، كما أن ذلك النور الإلّهي يكشف أيضاً للنفس عمَّا في الأوامر الإلّهية من الخير فتسارع إليها رغبة بها فتتقي تركها لما تراه في الترك من الحرمان والخسارة المحدقة.

ثم إنَّ التقوى وإن شئت فقل هذه الإستنارة بنور الله على درجات فكلَّما كانت صلة النفس بربِّها أعظم وكلما كان إقبالها عليه تعالى أشد وأدوم كان نورها أكثر إضاءة لها وكشفاً وكانت رؤيتها أعظم وضوحاً.

ومثل التقوى بالنسبة للمؤمن ذي الإقبال العظيم المتواصل كمثل مصباح بين يديه شديد التوقُّد مستمر الاشتعال قوي النور والإشعاع، وبما أن الأنبياء وصلوا في معرفتهم بربهم إلى حالٍ شاهدوا فيه كمال الله تعالى مشاهدة فاقوا بها البشر جميعاً، لذلك كانت نفوسهم دوماً شاخصة ببصيرتها إلى خالقها مستغرقةً في نعيم تلك المشاهدة لا تبغي عنها حولاً ولا ترضى عنها بديلاً، وفي الحديث الشريف «**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**»[1].. فإذا عرفنا أنَّ هذا حال الأنبياء استطعنا أن ندرك دوام إستنارة قلوبهم بنور خالقها وأن نعرف أنَّ صاحب هذا المقام دوماً على نور وهدى من ربِّه.

وكلمة (**نبي**) تعني المتنبئ بالحق فلا يمكن أن يفعل فعلاً أو يقول قولاً أو يخاطب إنساناً أو يمازح أحداً كما لا ينزل منزلاً حربياً ولا يسلك طريقاً إلاَّ وقد ظهر بنور الله

[1] أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٦ عن عطاء.

الفعل المناسب والقول أو الخطاب اللازم والمنزل الحربي أو الطريق الملائم فالله دوماً هاديه ودليله وهو أبداً وليّه ووكيله، وإلى ذلك أشارت الآيات الكريمة في قوله تعالى:

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[2].

﴿..وَاتَّقُوا اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ..﴾[3].

﴿..وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ..﴾[4].

كما أشارت الأحاديث القدسية الشريفة: «**لا يزال يتقرَّب العبد إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يُبصر به، ولسانه الّذي ينطق به**»[5]. وفي صيغةٍ أُخرى: «**فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فبي يسمع وبي يُبصر وبي ينطق**». إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى والشارحة لمعاني الآيات الكريمة.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٩٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).

(٤) سورة الطلاق: الآية (٢-٣).

(٥) أخرجه البخاري، التحاف، للزبيدي (ج٣، ص١٦٥).

ذلك هو مقام النبوة، عشقٌ عظيم للكمال الإلّهي لا يُضاهى ولا يماثَل واستنارة دائمية بنور الله لا تنقطع، وتنبؤ بالحق وعصمة من الوقوع في الخطأ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمى وَالبَصِيرُ، ولاَ الظُّلُمَاتُ ولاَ النُّورُ﴾[1].

وهكذا فكل من أدرك حقيقة التقوى عرف مقام الأنبياء وفهم المراد من كلمة نبوة فأيقن بعصمتهم وعدم إمكان وقوعهم في الخطأ حق الإيقان وأوَّل أعمالهم وأقوالهم بما تقتضيه العصمة وبما يليق بمقام النبوة وشرف الرسالة.

تقديم المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

---

[1] سورة فاطر: الآية (١٩-٢٠).

الفصل الأول

الرد على زعم إمكان وقوع الأخطاء من رسول الله ﷺ

نريد في بحثنا هذا أن ندحض تلك المزاعم التي تمسَّك بها طائفة ممَّن لم يعرفوا قدر رسول الله ﷺ وشأن هذا الإنسان الكامل فحسبوه رجلاً كغيره من الرجال "زاعمين إمكان وقوع أخطاء منه في أقواله وأفعاله في كل ما لم يوح إليه فيه وحي، فله العصمة على حدِّ قولهم فيما أُرسل به للناس أي بما يخبِّر به عن الله من الوحي. وما وراء الرسالة له حكم الإنسان المجتهد فيما أتى به من قول أو فعل. فقد يقع منه قصد الشيء يريد به وجه الله تعالى فيوافق خلاف مراد الله، ولذلك لا يقرُّه الله على ذلك أصلاً بل ينبهه إلى ذلك إثر وقوعه منه ويظهره لعباده".

تلك هي أقوال ومعتقدات جماعة من المتقدمين أخذها طائفة من المتأخرين وبنوا عليها نظريات وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ولو أنَّهم عرفوا معنى النبوة وما ينشأ عنها من العصمة لما أخطأوا في تفكيرهم ذلك الخطأ البعيد. بل لو أنَّهم سلكوا طريق الإيمان "الذي سنبيِّنه في نهاية بحثنا هذا"، الذي أرشدنا الله تعالى إليه لاستنارت قلوبهم وتحلَّت نفوسهم بالكمال فعرفوا أهل الكمال ولا يعرف الفضل إلاَّ ذووه، ولما وقعوا فيما وقعوا به من الانحراف الذي يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.. فهم يزعمون أن الرسول ﷺ قد يقع منه الخطأ فيما لم يوحَ إليه فيه وحي ثمَّ إنَّ الله تعالى لا يقر رسوله على ذلك ويصحح له خطأه ويظهره لعباده.

وبنظرة واحدة إلى هذا الزعم يظهر خطؤهم فيما بنوا قولهم عليه فإذا كان الإيمان الصحيح يقرر أنه لا يستطيع أحد في هذا الكون أن يقوم بحركة أو يتكلم بكلمة أو يطرف طرفة إلاَّ بعلم الله تعالى ومن بعد إِذنهِ فكيف يقع الخطأ ممن اختاره الله تعالى مُبلِّغاً لرسالاته؟.

إنَّ التصديق بهذا معناه أحد أمرين:

- فإما أنَّ الله تعالى ليس بعليم ولذلك يقع الخطأ من الرسول ثم يصل ذلك إلى علم الله تعالى فيصحَّح.
- وإما أنَّ الله تعالى يترك رسوله يخطئ ثم يبين خطأه للناس وليس لذلك من معنى إلاَّ الحطُّ من شأن الرسول وإضعاف اعتماد الناس عليه فيما يأتيهم به عن الله.

وتعالى الله عن أن يُرسل للناس رسولاً يبلغهم رسالاته ويجعله هادياً لهم ودليلاً ثم يظهر لهم خطأه ليضعف من مكانته في نفوسهم ويوقع الشك به في قلوبهم وكل ذلك مما لا تقرّه الآيات الكريمة الواردة في حق الرسول ﷺ والمبينة لمكانه العالي ووجوب طاعته قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وملائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلَى النَّبيِّ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1]. والمراد بكلمة (**وسَلِّمُوا تَسْلِيماً**)، أي اخضعوا لأوامره الخضوع التام، ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ. . ﴾[2].

فلو كان يخطئ لما أمرنا بطاعته ﷺ.

---

[1] سورة الأحزاب: الآية (٥٦).

[2] سورة النساء: الآية (٥٩).

وآية: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ..﴾[1]، فإن زعموا صدور أي خطأ عن رسول الله ﷺ فمعناه أنهم ينسبون الخطأ لحضرة الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[2].

﴿..وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا..﴾[3].

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[4].

وقد ذكر لنا تعالى في معرض الكلام عن رسالة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، مبيناً أن الرسل لا يعملون عملاً ولا يقولون قولاً إلاَّ بأمر الله تعالى وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[5].

ولا تحسبنَّ أننا نستطيع في هذا الوجيز الموجز أن نتحدث لك عمَّا بدا لهذا الرسول من التضحيات الكبيرة وما قام به ﷺ من الأعمال الجليلة في سبيل إقالة عثار الإنسانية المعذَّبة والأخذ بيدها إلى مناهل الخير والسعادة ويعجز القلم والبيان أن يحيط

---

[1] سورة النساء: الآية (٨٠).

[2] سورة النساء: الآية (٦٥).

[3] سورة الحشر: الآية (٧).

[4] سورة النجم: الآية (٣-٤).

[5] سورة الأنبياء: الآية (٢٦-٢٨).

بما انطوى عليه قلبه ﷺ من رأفة ورحمة وإخلاص وتفانٍ وحرص على إنقاذ هذا الإنسان أياً كان، وهدايته إلى منابع الحق وسبل الخير والإيمان.

علينا أن نفكِّر قليلاً في جهاده المتواصل الذي لفَّ بردائهِ عمراً غالياً وحياة كريمة لتدرك طرفاً من فضل هذا الرسول على النوعِ البشري الإنساني وتُردّد بحقٍّ قولَ من قال:

فإنَّ فضلَ رسول الله ليس له حدٌّ فيعـربَ عنـــه ناطــقٌ بفـــمِ

وكل ما نرويه في حديثنا عن أشرف الخلق وسيد المرسلين والذي دفعنا أن نتعرض لنقاط أوردها بعض المتقدّمين في كتبهم عن رسول الله ﷺ وقد غلوا فيها غلوّاً وحسبوا أنَّ في ذلك تعظيماً لشأن رسول الله ﷺ وإظهاراً لمقامه العالي ومكانته السامية.

فمن ذلك قولهم أنَّ رسول الله ﷺ وُلدَ مختوناً وأنَّ الله تعالى أرسل له ملكين فشقّا صدره الشريف لما كان طفلاً وأخرجا حظَّ الشيطان منه إلى غير ذلك من المبالغات التي لا أصل لها.

ولو أنهم وزنوا ما أوردوا في ميزان المنطق الصحيح لوجدوا أن هذهِ الأمور لا ترفعنَّ من شأن الرسول ولعرفوا أنَّ مكانة رسول الله العالية عند ربّه لم تأته بنسبة هذه الأمور إليه بل سبق ﷺ الخلق جميعاً بمعرفته العالية عند ربِّه تلك المعرفة العظيمة التي فاق بها العالمين فكان بما رآه من كمال ربّه أحمد الخلق لله وأشدّهم لربّه حبّاً وأعظمهم لخالقه تقديراً وبهذا القرب نال المقام الأسمى الذي لا يمكن أن يُدانيه فيه إنسان أو مخلوق وسبَحَ في معارج الحب الإلَهي حتى بلغ سدرة المنتهى وأعني بذلك المكانة التي لم يصل

إليها أحد من المخلوقات وهنالك اصطبغت نفسه ﷺ بذلك الكمال الإلّهي اصطباغاً. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً . . ﴾[1].

واشتقَّتْ من الله تعالى رحمةً ورأفةً فكان ﷺ في إنسانيته الكاملة المثل الأعلى لكل إنسان فهو أرأف الخلق بالخلق وأشدُّهم على هدايتهم حرصاً وأكثرهم عليهم عطفاً وحناناً ولمثل هذا اجتباه ربُّه واصطفاه فكان للعالمين سيّداً وللرسل إماماً وللمؤمنين مهما امتدَّ بهم الزمن وطال سراجاً منيراً.

وهنالك أيضاً نقاط أخرى أوردها أولئكَ المتقدمون وفيها من حيث لا يشعرون القدحَ في معرفة رسول الله ﷺ أوردوها دون أن يوفوها حقَّها من النقد والتمحيص العلمي الدقيق كما في قصة التأبير "تأبير النخل" والنزول يوم بدر في الموقع الحربي غير الملائم وفي ذلك ما فيه من نسبة الخطأ إلى رسول الله ﷺ وقد اتَّخذَها الناس ممَّن لم يصل بعد إلى مراتب التقوى والإيمان الصحيح حجَّة لهم فيما يقعون بهِ من الإنحرافات والأخطاء ولم يدروا أنَّ مقام النبوة الذي أقامت نفس صاحبه عاكفةً دوماً في حضرة الله لا تغيب عنه طرفة عين يقضي العصمة ولا يمكن لصاحبه أن يقع في خطأ أو أن ينحرف عن الحق ويزيغ فكيف بسيّد الرسل الذي جعله الله تعالى قدوة للخلق ومثلاً أعلى للعالمين، فهو ﷺ لم يُخطئ قطعاً بأي أمرٍ دنيوي أو أُخروي فهو معصوم عن الأخطاء في الصغائر والكبائر وهو معلِّم الدنيا والآخرة، فهو زينة الدنيا وبهجتها وهو الطاهر من سائر التهم، والعرب شفوا به من سائر الانحطاطات وسموا لكافة الكمالات وحاشا لمنبع الكمالات من أي نقصٍ أو انحرافٍ أو زيغٍ.. ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ

---

[1] سورة البقرة: الآية (١٣٨).

﴿وَمَا طَغَى﴾[1]: بشهادة ربِّ الكمال جلَّ جلاله، فهل يُقبل بعد هذا البيان بافتراء على رسول الله ﷺ ولو وثَّقه المغضوب عليهم بكافة الثقات مكراً ودسّاً وحقداً ووثَّقوه!.

وأخيراً نتعرض لنقاط أخرى فعلها ﷺ بأمر من ربه وقام بها مقام المشرّع المبين لأمته، وقد أوردها أناس عنه ﷺ على غير وجهها وأوَّلوها تأويلاً باطِلاً مغايراً للحقيقة وبذلك اتَّخذها الملحدون مطاعن ومآخذ ينتقدون بها رسول الله ﷺ ولو دقَّقوا وأخلصوا للعلم والبحث العلمي لردُّوا هذه التأويلات الباطلة ولعلموا أنَّ الذي قدَّم راحته وهناه طوال حياته جاهداً في هداية هذا الإنسان إلى طريق الفضيلة والسعادة لا يتصوَّر أن تصح في حقّه تلك المطاعن أو تظن عنه تلك المآخذ. نريد الآن أن نعرض هذه النقاط التي ذكرناها واحدة فواحدة ونناقشها مناقشة علمية صحيحة إظهاراً لوجه الحقيقة ووفاء ببعض الحق، حق هذا المنقذ للنوع الإنساني من الضلالة وغواية الجهالة. ودحضاً لباطل أولئِكَ المبطلين الَّذين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾[2].

[1] سورة النجم: الآية (١٧).

[2] سورة الصف: الآية (٨).

ما حقيقة غزوة بدر الكبرى؟!.

إن الطامَّة الكبرى والبليَّة العظمى في أمة نظرت في كتاب ربِّها وتلته ولم تَرَه ولم تشهده.. ونظرت في كتب الدسوس فأخذت بها وصدَّقتها ورأتها مع مخالفتها الصريحة لكتاب الله. إذن إن أمة هجرت كتاب الله العظيم ليست أمة معصومة أبداً وقطعاً..

فالله تعالى يقول: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ..﴾[1]: **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**: أي: أن المسلمين بوقعة بدر كانوا يرون كفّار قريش مثليهم، أي: ضعف عددهم.. هذا في كتاب الله "القرآن الكريم"، أما في كتب التفسير والروايات فأجمعوا على قولٍ عكس قول الله العظيم، إذ قالوا بأن الكفَّار كانوا ثلاثة أمثالهم، يقولون كان الصحابة (٣١٤) وكفَّار قريش حوالي الألف وهذا مناقض لصحيح كلام الله، فكيف أجمعوا على القبول بالباطل وغاب عنهم قول الله العظيم!.

قالوا بأن رسول الله ﷺ نزل عند أدنى ماء من مياه بدر فقال الحباب بن المنذر: «**يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدَّم ولا أن نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟. قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: فإن هذا ليس بمنزلٍ فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوِّر ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءاً، ثم نقاتل القوم فنشرب**

[1] سورة آل عمران: الآية (١٣).

ولا يشربون. فنهض رسول الله ﷺ وتحوَّل إلى المكان والرأي اللذين أشار بهما الحباب». وقالوا عن هذه الرواية بأنها بسند صحيح والحافظ بن حجر ثقة كما رواها ابن هشام في سيرته.

ونحن نقول لهم: إن هذه الرواية الثقة لديكم هي محض الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ باتِّهامه بالجهل بالحرب، بل إنها افتراء فاضح واضح على صريح القرآن الكريم. لما سمعوا النداء بمجيء قافلة أبو سفيان المثقلة بأموال أغنياء مكة وتجَّارها هبُّوا على عجلٍ لاسترداد جزء من أموالهم المسلوبة والمصادرة حين أجبرهم أهل مكة على الهجرة والفرار بدينهم، ففضلوا مرضاة الله والآخرة على حطام الدنيا ومتاعها. والآن جاء دورهم باسترداد جزء من حقِّهم السليب بمجيء هذه القافلة المترعة بالغنى على الطريق إلى مكة والتي طريقها الإجباري على كثبٍ من المدينة المنورة، لذلك لم يُمكِنْهم الاستعداد بالتجهيزات الحربية الكاملة، إذ ما كانوا يتوقعون عندها حرباً شعواء، أو لقاء مقاتلين أشداء في حربٍ ضروس، إنما هي مجرَّد قافلة حُماتها لا يمكن أن يتجاوزون الأربعين مقاتل، والصحابة كانوا بالمئات مع رسول الله ﷺ فلما فرَّت القافلة وعلموا أن جيش قريش المجهَّز بكامل العتاد آتياً بعُدَدِه وعدده وعتاده، هنا خيَّرهم الرسول ﷺ بين لقاء العدو بعد فرار القافلة أو عدمه فاختاروا الصدام معهم على غير تجهيز حربي مسبق.. هنا لم يبقَ طلبٌ لمتاعٍ دنيوي، بل أصبح الجهاد خالصاً لمرضاة الله ولكسر شوكة الكفر وإعلاء كلمة الحق، فهي مقدَّسة. حدث ذلك بعد أن أخذ أبو سفيان يُسرع حتى أنجى عيره وتجارته من الخطر. ثم إن النبي ﷺ أتاه خبر مسير قريش إلى المسلمين فاستشار من معه من أصحابه فتكلَّم المهاجرون كلاماً حسناً وكان منهم المقداد بن عمرو، فقد قال: يا رسول الله، امضِ لما أمرك الله فنحن معك، ولكن النبي

ﷺ ظلَّ ينظر إلى القوم ويقول لهم: أشيروا عليَّ أيها الناس. فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: أجل، فقال سعد: لقد آمنا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك. فسرَّ رسول الله بقول سعد، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

كان المسير من الحركة وعلى عجل ولكن العقبة الكبرى في تلك الصحراء الشديدة الحرارة كانت بفقدان الماء لديهم بسبب خروجهم على عجل لملاقاة قافلة تحمل المزيد من الماء والمؤن، ولكن ﴿ ..وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].. صحيح أنهم بخروجهم للقاء قافلةٍ محمَّلة بالزاد والمؤمنون لم يحملوا معهم الكفاية من الماء لعدم توقُّع لقاء جيشٍ مقاتلٍ لا يُدرى أمدُ وزمن حربه كم يطول. فالمشكلة الآن مشكلة ماءٍ فقط، ولكن الله تعالى بفضله كفاهم هذا الخوف وطمأن قلوبهم وجعلهم يمضون رابطي الجأش، ثابتي الخطى بأن همر عليهم الماء مدراراً، ومنها الآية الكريمة: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً﴾[2]، والمعروف بالجزيرة العربية بأن الأمطار حين تهطل فإنها تنزل كالحبال، فتسيل الأودية وتمتلئ الحفر والوديان بالماء فلا ثمَّة حاجة الآن لحوض ماءٍ أو سواه، إذ غمرتهم غمراً من السماء لأن حفر الأرض كلها أصبحت مملوءة، فمشكلة الماء قد انحلت وانقضت.

---

[1] سورة الروم: الآية (٤٧).

[2] سورة نوح: الآية (١١).

فمن أين أتوا بهذه القصة المفتراة عن شخصٍ موهوم أطلقوا عليه الحباب بن المنذر اختلاقاً. لقد دسُّوا هذه الرواية الخرافية فقط ليثبتوا الجهل لرسول الله ﷺ بما سمَّوه حوض ماءٍ مع أن الأرض كلها امتلأت بالماء، إذ أنزل الله لهم من السماء ماءً ليُطهِّرهم من وساوس الشيطان من فقدان الماء، قال تعالى: ﴿. .وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ. . ﴾[1].. فهذه الآية تنسف كذب هذه الرواية نسفاً وتُظهر بطلانها أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ. . ﴾[2]: فرسول الله ﷺ صاحب معرفة بالحرب، والمؤمن بكل أمر رأس.. فكيف برسول الله ﷺ؟!. والصحابة دوَّخوا العالَم بخططهم العسكرية وعبقريتهم الحربية، فكيف برسول الله ﷺ مرشدهم وقائدهم ومعلِّمهم، هل يجهل الموقع الحربي!.. ما أجهلَ من يقبل برواياتٍ سخيفةٍ كهذه، فهي على تفاهتها مثل الرواية المفتراة بتأبير النخل والتي تنسب الجهل أيضاً لرسول الله ﷺ فهو قائد مسيرة الصحابة، وهو ﷺ علَّمهم فنون وأساليب وتكتيك القتال. وهذه الآية ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ تكذِّب الرواية.

---

[1] سورة الأنفال: الآية (١١).

[2] سورة آل عمران: الآية (١٢١).

روايـة أســرى بـدر.. ما حقيقتها؟!.

نريد الآن أن نبين التأويل الصحيح للآيات الكريمة التي تبين الوقائع التي وقف فيها رسول الله ﷺ موقف المشرِّع للناس جميعاً، وأوردها الله تعالى لنا لنحتذي حذو رسوله الكريم ﷺ ونأخذ بما بيَّنه بمثل هذه المواقف من تشريع ولذلك لابدَّ لنا من ذكر الواقعة التي وردت بخصوصها آيات القرآن الكريم ثم بيان ما أشارت إليه الآيات الكريمة من فعله ﷺ ضاربين عرض الحائط بكل ما أورده بعض المؤرخين والمفسرين وأصحاب السير ممَّا يتنافى مع كمال رسول الله ﷺ وعالي مقامه معتمدين على ما جاء به القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ما فعله ﷺ تجاه أسرى بدر: سنبدأ بما فعله ﷺ في قضية أسرى بدر وسنتكلم عن الفداء والآيات الواردة بهذا الخصوص فنقول:

يروي بعض أصحاب السِيَر أنه لما كان يوم بدر جيء بالأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك وأخرجوك وقاتلوك قدمهم فاضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة انظروا وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم ناراً، فقال العباس وهو يسمع ما يقول قطعت رحمك فدخل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً، فقال أناس يأخذ بقول أبو بكر وقال أناس يأخذ بقول عمر. فخرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله ليليِّن قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وأن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشدَّ من الحجارة. مَثَلُكَ يا أبا بكر مثل إبراهيم عليه السلام قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنَّك غفور رحيم، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال إن تُعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر

لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر كمثل موسى إذ قال: ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. ومثلك يا عمر كمثل نوح إذ قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً. ثمَّ قال ﷺ: أنتم عالة "أي فقراء" في حاجة إلى مال الفداء، فلا ينفلتن أحد من الأسرى إلاَّ بفداء أو ضرب عنق. فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].. فهم يريدون بإيرادهم هذه القصة أن يبينوا أنَّ رسول الله ﷺ أخطأ في قبول الفداء، فجاءت الآية منبهة الرسول إلى خطئه.

وبنظرة واحدة إلى هذه الرواية التي وردت فيها هذه القصة في كتب السِيَر يتبيَّن لك عدم صحتها. فبحسب سياقها يظهر أن الرسول ﷺ يُشير إلى أنَّ عمر بن الخطاب إنَّما كان شديد القلب قلبه أشد من الحجارة مع أنَّ المؤمن لا يكون قلبه على هذه الصورة، وشدة القلوب وقسوتها إنما هي من صفات الكافر المعرض، فالله تعالى إنما أنَّب اليهود بقوله الكريم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِي كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً. . ﴾[2].

ولم تكتف هذه الرواية بوصم عمر بشدة القلب، بل إنَّما تعدته إلى الرسل الكرام، فجعلت عمر في شدته كمثل سيدنا موسى ونوح عليهما الصلاة والسلام. ورسل الله هم أرأف الناس بالناس وأرحمهم بهم وما دعا سيدنا موسى على آل فرعون إلاَّ حبّاً

---

[1] سورة الأنفال: الآية (٦٧).
[2] سورة البقرة: الآية (٧٤).

بهم وحرصاً عليهم وعلى ردِّهم إلى طريق الحق كما أنَّ سيدنا نوحاً ﷺ لم يدعُ على قومه لشدة قلبه وقسوته عليهم إنَّما دعا عليهم رحمة بهم وذلك من بعد أن أخبره الله تعالى بأنه ﴿ . . لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ . . ﴾[1] هنالك دعا عليهم، علماً منه بأن الكافر كلما طال عمره ازداد بغياً وظلماً وبالتالي ازداد في الآخرة شقاوة وتعاسة. وهكذا ما اختار الله تعالى لتأدية رسالاته نبياً إلاَّ وكان رحيماً شفوقاً تلك هي سنة الله في الرسل جميعاً يجتبي إليه من الناس ألينهم قلباً وأكثرهم بالخلق رأفةً ورحمة. ونعرض الآن التأويل الصحيح للآية التي أوردناها بمناسبة أسرى بدر، والآيات التي تليها بهذا الخصوص فنقول:

إنَّ مسرى الآيات وظاهر نصها لا يفيد أنَّ رسول الله ﷺ شاور أصحابه في هذا الأمر، وهذه القصة لم تتعرض إليها الآيات بشيء والذي يُفهم من الآيات أنَّ الله تعالى أراد أن يضع لنا قواعد ثابتة ويشرِّع لنا أصولاً نعتمد عليها دوماً في أخذ الأسرى في الجهاد، فهو تعالى يبين لنا أنه لا يؤخذ أسير ولا يفتدى إلاَّبعد إضعاف شكيمة العدو وكسر شوكته ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . . ﴾[2]: لأن أخذ الأسير والإبقاء عليه وفداءه ثم عودته إلى قومه وملَّته وهي ما تزال قوية الجانب يكون سبباً في تقوية كفة العدو وتعزيزها. وحيث أن جماعة من أصحاب الرسول في غزوة بدر كانوا يتحاشون القتل في المعركة ليأخذوا الأسرى وينالوا منهم الفداء، ولذلك أنزل

---

[1] سورة هود: الآية (٣٦).

[2] سورة محمد: الآية (٤).

الله تعالى الآيات تشريعاً وبياناً.. فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[1]. وكلمة (**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ**) إنما تبيِّن سنة ثابتة درج عليها الأنبياء جميعاً، فالله تعالى إنما يبين لك معرفة أنبيائه العالية بأصول الجهاد، الجهاد الذي يضعف شوكة الكفر والضلال ويقوي جانب الحق والإيمان.. فهؤلاء الأنبياء ما كان لهم أي لم يسبق أن صدر منهم في يوم من الأيام أن أسروا من عدوهم أسرى قبل أن يثخنوا في الأرض، أي قبل أن يكسروا شوكة الكفر ويضعفوا شكيمته. وإذا كانت هذه سنة درج عليها الأنبياء جميعاً فهل يتصور أن يصدر عن رسول الله ﷺ مخالفة لسنة الأنبياء من قبله وهو إمام الأنبياء وسيد المرسلين!.

نقول وبعد نفي الله تعالى ذلك عن أنبيائه حوَّل الخطاب إلى أصحاب الرَّسول الكريم مُبيناً لهم مخالفتهم لقاعدة من قواعد الجهاد فقال تعالى: ﴿..تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وصيغة الجمع الذي ورد بها هذا البيان تبين لك أن هذا الخطاب ليس لرسول الله ﷺ إنَّما هو خطاب لأصحابه، وقد بيَّن الله تعالى لهم أنهم إنَّما أرادوا بعملهم أخذ الفداء وهو ما عناه تعالى بكلمة ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: أي والله يريد لكم ثواب الآخرة، إذ بالنصر الذي تحرزون؛ تنالون القرب والزلفى من خالقكم في الآخرة.

---

[1] سورة الأنفال: الآية (٦٧).

ثمَّ بيَّن لهم تعالى بقوله: ﴿لولا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ. .﴾[1]: بمنحكم النصر في قوله تعالى: ﴿وإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ويُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ويَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[2]، ﴿لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي لولا إرادته تعالى بأن النصر سيكون لكم لمسكم أي لنالكم بأخذكم الأسرى عذاب أي شدة وبلاء عظيم بتأليب هؤلاء الأسرى قومهم وتحريضهم على قتالكم. ﴿فَكُلُوا﴾ الآن بعد حنين حيث أثختنموهم ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُم حلالاً طيباً واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾[3].

ثمَّ حوَّل الله تعالى الخطاب إلى رسوله ليخاطب عليه السلام أسرى حنين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِمَن فِي أَيدِيكُم مِنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤتِكُمْ خيراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُم ويَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ثم حذَّر الله تعالى هؤلاء الأسرى فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[4]. وهذه الآيات أُنزلت يوم الفرقان يوم التقى الجمعان هوازن وثقيف في حُنين. وعلى هذا فنص الآيات لم يتعرَّض بشيء من الأشياء إلى أنَّ رسول الله ﷺ أخذ الأسرى وفضَّل الفداء، وليس يفيد أي عتاب للرسول ﷺ إنما هو تشريع

---

[1] سورة الأنفال: الآية (٦٨).
[2] سورة الأنفال: الآية (٧).
[3] سورة الأنفال: الآية (٦٩).
[4] سورة الأنفال: الآية (٧٠-٧١).

وأحكام شرَّعها الله تعالى للمؤمنين يعملون بها في جهادهم ويطبقون أحكامها في حروبهم وكل هذه التأويلات والقصص التي يزعمونها سبباً في نزول الآيات باطلة لا أصل لها.

هل النبي العليم جاهل؟!. "وبتأبير النخل" غير عالم؟!.

نعم لقد طوت هذه النفس الكريمة على المحامد كلها فاسمه (محمد)، إذ ليس للذم والنقص والخطل والخطأ والجهل والانحراف أثر في قاموس نفسه الحبيبة الطاهرة الشريفة ﷺ، بل نال أعلى الشهادات العلا الأولى بالعلم والشجاعة والجرأة والإقدام، فلم يدانه جنابٌ بها من البشر.. فالرحمة التي بقلبه غطَّت العوالم كلها، إذ الرحمن علَّم القرآن والقرآن به علوم الدنيا والآخرة، وبه الكتب والصحف كلها، فبه علوم الأولين والآخرين، فالعطف والحنان والرأفة والحياء والمروءة والجود والعدل والإباء والعزَّة والعفَّة والسياسة وجميل التصرُّف بها والعلوم التي تحلى الأنبياء والمرسلون بنصيب منها عن طريق رسول الله ﷺ فكانوا بها أسبق المخلوقات وأعظم بني البشر، فهو خير البرية وتاجها الأسمى فاستحق ثناء الله تعالى بقوله العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ورد في صحيح مسلم (باب الفضائل/٤٣٥٨): «**حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْوَاتاً فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ لَوْ تَرَكُوهُ فَلَمْ يُلَقِّحُوهُ لَصَلُحَ فَتَرَكُوهُ فَلَمْ يُلَقِّحُوهُ فَخَرَجَ شِيصاً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا لَكُمْ قَالُوا تَرَكُوهُ لِمَا قُلْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِ فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ**».

---

[1] سورة القلم: الآية (٤).

محمد ﷺ فخر العالمين، أي كامل الأوصاف العليّة التي تشده العقول وتسبي الألباب وتسمو بعقول أهل الكمال وتذهل المفكِّرين فلا خطأ ولا علَّة ولا شائبة أبداً فيه.. هو الذي حرم العقول من العمى ومن الضلالات المذمومة.. وخريجوا جامعات (عالي الشمائل محمد) فازوا بأسمى الرتَب الدنيوية ورفعة الآخرة، والشجرة المريضة لا تُثمر ثمراً طيباً، فمن لا يفهم أمور الدنيا هل يُخرِّج أبطالاً أذهلوا العوالم قادة لم تشهد الأرض لهم مثيلاً، وكانت قلوبهم بكليتها إلى الحبيب تميل فتتشرَّب عنه العلم والخُلق والشجاعة والتكتيك العسكري وسواها.. فهو دليلهم وهو معلِّمهم ومربِّيهم.. أجل هذا الإنسان لقد جمع ذرى الكمالات العلا على العالمين والأنبياء قاطبة وكافة المرسلين ولا يفهم بأمور دنيانا!. يا ويلهم يوم الفزع الأكبر يوم تفزع كل الكائنات من قولهم المريع المرعب المفزع على سيد الخلائق الذي علَّمه الله فلم يُحسن تعليمه!. بل تركه جاهلاً بأمور الدنيا!. وعلى الدنيا تُبنى الآخرة.. إنهم يقولون منكراً وزوراً من القول تكاد السموات تخرُّ والجبال تندك من قول هؤلاء الجاهلين.

- إذن يقولون: حَكَمَ ﷺ بأنه من الخير عدم التأبير، فظهر أنه ليس من الخير عدم التأبير. فلو قَبِلَ أحدٌ بهذا الدس على عَلَمِ الهدى منبع الرسالة ﷺ لحكم بأنه "وحاشاه" طُفيليٌ يتدخَّل بما لا يعنيه ولا يفهمه لقولهم أنه «**سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْوَاتاً فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ لَوْ تَرَكُوهُ فَلَمْ يُلَقِّحُوهُ لَصَلَحَ فَتَرَكُوهُ فَلَمْ يُلَقِّحُوهُ فَخَرَجَ شِيصاً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا لَكُمْ قَالُوا تَرَكُوهُ لِمَا قُلْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِ فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ**».. فهم لم يسألوه فتدخَّل وكان نتيجة تدخله الخسران المبين، وهم بذلك

ينقضون الآية: ﴿..وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[1].. وهؤلاء أطاعوا فخسروا، وطالما أنه لا يفهم بأمور دنياهم فلِمَ يتدخَّل فيما لا يعرفه.. أليس هذا بتطفُّل؟.

إذن قصة تأبير النخل لا أصل لها.

• وإن صدَّق أحدٌ قولَهم بتأبير النخل لحَكَمَ بأن محمداً ﷺ ليس بنبي لأن النبي وحي يُوحى من حضرة الله فلا يُخطئ، فالله يُعلِّمه، فإن أخطأ كما في تأبير النخل فقد خطَّأوا الحضرة الإلٓهية أيضاً لأن الله معلِّمه ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[2]. «علَّمني ربِّي فأحسن تعليمي».

• وما دام سيدنا المهدي لا يُخطئ وهو الذي يقفو أثر رسول الله محمد ﷺ فكيف يُخطئ إمامُه ﷺ؟!. "محاكمة منطقية بسيطة تكشف ضلال وزيف وتزوير الداسِّين الزنادقة".. فكيف قَبِلوا بهذا السخف على إمام الرسل وخاتم النبيين!.

• إذن على زعمهم حَكَمَ وأخطأ، فلو حكم بالقِصاص على إنسان بأنه يستحق القتل وأُعدم، ثم ظهر خطؤه فكيف يصحح الخطأ!. أفتوني!...

• سيدنا يوسف ﷺ فَهِمَ بأمور الدنيا وتنبأ بسنوات القحط وسنوات الخير فأنقذ مصر وأهلها وكان يفهم بأمور الدنيا لقوله ﷺ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3].. فيوسف ﷺ كان عليماً ودبَّر أمور دنيا مصر بكاملها، وسيدنا

[1] سورة الأحزاب: الآية (٧١).
[2] سورة النجم: الآية (٥).
[3] سورة يوسف: الآية (٥٥).

محمد ﷺ لم يستطع تدبير أمور نخلٍ على زعمهم بقصة تأبير النخل، فهل يُقبل بهذا!. أن سيدنا يوسف ﷺ أعلى وأفقه بأمور الدنيا من سيدنا محمد ﷺ الذي هو أجلُّ البرايا وروحها وعينها وأجلى المرسلين مناراً؟!.

• ذهبوا مذهب المنحرفين من النصارى الذين قالوا ما للقيْصر لقيْصر، وما لله بهذا القول فصَلوا الدنيا عن الآخرة مع أن الآخرة مبنية على صلاح الدنيا، فهم ليسوا نصارى، بل هم منحرفوا النصارى وأولئك خير منهم لأنهم لم يصِموا السيد المسيح ﷺ بما وصم هؤلاء سيدنا محمداً ﷺ.. ومن يرضى بهذا الوصم عن تعنُّت فهو من أهل الباطل.

• قالوا حديث متَّفقٌ عليه، فما اتُّفق على باطل فهو باطل.. وما ضلَّ رسول الله وما غوى وما ينطق عن الهوى.. كيف لم يخطئ بمصير الأمم، إذ قال للصحابة ستُفتح عليكم الشام، ستُفتح عليكم العراق.. المدائن ثم يُخطئ بتأبير النخل!.

• قالوا بأن رسول الله ﷺ لم يخطئ بقتلى بدر، بل تنبَّأ بقوله الصادق نهار وقعة بدرٍ السابق، إذ عيَّن الأمكنة بالضبط، فقال: هذا مصرع فلان من المشركين وهو يضع يده الشريفة على الأرض.. هاهنا وهاهنا فما تزحزح أحدهم في مقتله عن موضع يده وهو حديث متفق عليه على رواية ابن هشام ورواه مسلم.. هذا الحديث ينقض ويكذِّب رواية تأبير النخل المزعومة ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾[1].. وبهذه الرواية الخبيثة نقضوا صريح القرآن، إذ قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ..﴾[2].

---

[1] سورة الذاريات: الآية (٨).

[2] سورة النساء: الآية (٨٠).

فهو لا ينطق إلاَّ بلسان حضرة الله لأنه رسوله، فهل الله "وحاشا وكلّا" يُخطئ!.. بزعمهم هذا ينسبون الخطأ ضمناً لله.

أوَ مِنْ هؤلاء الملحدين يا علماء الدين تسمعون ولقولهم الخبيث تصدِّقون فأنتم أسمى وأرفع من التدني لحضيض الداسِّين الأبالسة على من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

إن كان يُخطئ على زعمهم الباطل فكيف نظَّم ﷺ أمور نصر الصحابة على العالَمْ، بل ونظَّم قوانين الميراث كلها والزواج والطلاق والرضاع واليتامى وكلها أمور دنيوية.. ونظَّم أمة الجاهلية فنظَّمت الأمم بدنياها قبل آخرتها!. بل نظَّم بالكمال كل ما كان يشجر بينهم في أمورهم الدنيوية والله أمرهم بتسليمه أمورهم تسليماً مطلقاً ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[1].. بل كافة الأمور الدنيوية نظَّمها كالوصيَّة والخطبة، وأمور الحيض والديْن ومعاملات البيع والشراء والصيد وغيرها.. حتى ملأت علومه ﷺ القرآنية أطباق السموات والأرض ثم على زعمهم الزور يُخطئ في تأبير النخل!.

فمن يقول عن أمةٍ تتَّهم نبيَّها الكريم بأنها معصومة.. ألا إن أمة تقبل بهذا القول التافه لهي أمة موسومة موصومة أهملت ما وهبها الله تعالى من مواهب وملكات وهجرت التفكير فصدَّقت كل ناعقٍ خبيث موتور.

---

[1] سورة النساء: الآية (٦٥).

فيا أحبابنا العلماء.. هل لهؤلاء المجرمين تصغون ولِمَ لا إلى جهنم بقولهم تقذفون.. ساء ما إليه ذهبوا سيحرقهم خزيهم وعارهم بهذا القول على العليم حبيب رب العالمين وحبيب كافة الرسل والنبيين والمؤمنين وسيخلدهم عار قولهم هذا في النيران أبد الآباد.

محمدٌ تاجُ رسلِ اللهِ قاطبةً   محمدٌ صادقُ الأقوالِ والكلمِ

يا إمام الرسل يا سندي   أنت باب الله ومعتمدي

"فبدنياي" وآخرتي   يا رسول الله خذ بيدي

محمّد النبي مسحور!..

(صدق الله وأخطأ المفسِّرون والرواة)

ورد في التفاسير وكتب الحديث "لاسيما كتاب البخاري سامحه الله" أن سبب نزول المعوذتين قصة الوليد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ﷺ في مشط ومشاطة وجف قشر الطلع طلعةٍ ذكر ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروز بالإبر فأنزلت عليه المعوذتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد في نفسه خفة ﷺ حتى انحلت العقدة الأخيرة فقام فكأنما نشط من عقال وأنه خلال مرضه هذا لا يدري على حد زعمهم هل كان يدخل على نسائه الطاهرات أم لا يدخل فزعمهم الخبيث الباطل عن "سحره" المدسوس والذي أورده تفسير الجلالين برواية لبيد اليهودي معناها أن الشيطان كان يدخل على نسائه بل بلغت بهم صفاقة الوجه في رواياتهم أنه ﷺ بقي تحت تأثير السحر وشياطينه ١٨ شهراً.. فهل انقطع الوحي بهذه المدة؟!.

أما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[١].. أفكان الوحي شيطانياً؟!. وهو طعن بالقرآن العظيم بأنه من وحي الشياطين وذلك قول العميان المقطوعين عن الله، ولكن الشياطين تتنزل على أمثالهم ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٢].. وما الأفاك الأثيم إلاَّ امرؤ متحوِّلٌ عن طريق الحق مُصرٌّ على حبِّ الدنيا الدنية وشهواتها المنحطة فهل يليق هذا بحقِّ رسول الله ﷺ فيصِمُونه بهذه

[١] سورة التكوير: الآية (٢٥).

[٢] سورة الشعراء: الآية (٢٢١-٢٢٢).

الصفة الشيطانية وهو أكمل الخلْق الذي شهد بكماله الله سبحانه وتعالى وهو هادي العالمين إلى الصراط المستقيم!.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[1].. فهو ﷺ ما ضلَّ وما غوى وما نطق عن الهوى إذ هو وحيٌ يوحى لا يسبق ربَّه بالقول وبأمره دوماً يعمل، وعلمه مباشرةً من حضرةِ الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض ومسيِّرها بكمال الكمال، ثم هل تسكت قريش واليهود إن رأت نقيصة على رسول الله ﷺ أفلا تقول أن القرآن من وحي الشياطين إن كانت هذه الرواية المدسوسة صحيحة عكس قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

فهل في عقول الداسين على رسول الله ﷺ عماء، وهل في أفكار المضلين غباء حتى أدخلوا هذه الدسوس من أن للشيطان على رسول الله ﷺ سلطان حتى يمرضه.. مع أنه حقاً لا تستطيع الشياطين أبداً حضور مجالسه ﷺ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ، إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[3]... فهل بعدَ بيانِ الله بيان!.

---

[1] سورة النجم: الآية (١-٥).

[2] سورة يس: الآية (٣-٤).

[3] سورة الشعراء: الآية (٢١٠-٢١٢).

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1].

فما دام الشيطان أخسأ أن يكون له سلطان على مؤمن، بل يفر هارباً من عمر بن الخطاب: «**يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره**»[2]. وفي حديث آخر: «**إنَّ الشيطان ليفرُّ منكَ يا عمر**»[3].

فسلطان الشيطان على من يتولاه من الخبثاء وعلى المشركين لا على رسول الله ﷺ رسول الموحدين.

وأن الشيطان ذاته لما رأى رسول الله ﷺ والمؤمنين معه ارتعدت فرائصه وفرَّ هارباً، ﴿. .فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].. لما رأى التأييد الإلَهي للمؤمنين، فكيف برسول الله ﷺ خليفة الله في أرضه وسفيره لخلقه، ﷺ.. وكلمة (وسلَّم) أي سلَّمه تعالى بديمومة إقباله عليه تعالى من كل شيطان مريد ومن كل مخلوق لتحصُّنه بربِّ الفلق وبربِّ الناس وهو عليه السلام، والسلام تعني الأمان من كل ذي شر.. والعكس صحيح: ﴿. .وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ. .﴾[5]. وقوله ﷺ: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**»[6].

---

[1] سورة النحل: الآية (٩٩-١٠٠).

[2] التاج لجامع الأصول (ج٣ ص٣١١).

[3] رواه الترمذي رقم (٣٩٣٧).

[4] سورة الأنفال: الآية (٤٨).

[5] سورة الحشر: الآية (٦).

[6] كنز العمال ج/١١/٣١٩٣٠.

والشيطان الأول إبليس عندما حاول الوسوسة لسيدنا آدم العظيم ليثبت أن آدم ﷺ قد يعصي ربه ولكن لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فسيدنا آدم ﷺ قد أصبحت له بدل الجنة الواحدة التي كان بها جنات وإبليسْ بالشقاء يعيشْ، والنار مثوى له. فعندما رأى إبليس هذه النتيجة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ، قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

فها هو إبليس يرى خسارته باقترابه من عباد الله المخلَصين: أي الأنبياء، فيتجنبهم بذاته ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ويقول الله تعالى أنه لا سلطان له حتى على المؤمنين ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: **الغاوين:** وهم الذين لا يُعملون تفكيرَهم في السعي الحقيقي لمعرفة ربهم والدنيا أغوتهم فظنوا أن بها شيئاً وعند الموت تنكشف الحقيقة بأنه لا شيء فيها بل كان كله من الله عطاءً وفضلاً وإحساناً فيعيشون في الحسرات والندامة ثم مثواهم النار لتسلِّيهم عما بهم.

أفلم يكن رسول الله ﷺ سيد المخلَصين وهو الذي اصطفاه لتبليغ رسالته والله السميع العليم فهو سميع لقوله ﷺ عليم بحاله ونيته فكلامه ﷺ عالٍ وحاله لذلك اصطفاه الله لطهارته وعلو نيَّته ليرشد الخلق إلى الله.. أفيُقال عنه هذا القول الشنيع ويقبله عميان القلوب؟!.

---

[1] سورة الحجر: الآية (٣٩-٤٢).

أولم يقل تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[1]، ما يفعل الله بعذابكم.. لماذا يعذبكم؟. خلقنا ليسعدنا دنيا وآخرة لكن حيث النفس فيها ما فيها من علل يسوق لنا هذه الشدائد لنرجع عن غيّنا فنتوب ونصلي لتطهر نفوسنا مما بها وبما أن نفس رسول الله ﷺ أنقى نفس بمداومتها على ذكر الله وعدم انقطاعها أبداً عن الله فحاشا أن يُمكِّن مخلوقاً من الإنس أو الجن أن يمسه أو يلمسه ﷺ بلمسة أذى لالتجائه الكلي إلى الله فكفاه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ..﴾[2].. فمن كان الله معه فمن ضده.

﴿..وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..﴾[3].. الله يعصمه فلا أحد يستطيع الوصول إليه بأذى ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[5]: يحفظونه من السوء أو أي أذى من مخلوقٍ كان لا من الإنس ولا من الجان.

في هذه الآية ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾..

---

(1) سورة النساء: الآية (١٤٧).
(2) سورة الزمر: الآية (٣٦).
(3) سورة المائدة: الآية (٦٧).
(4) سورة الأعراف: الآية (١٩٥).
(5) سورة الجن: الآية (٢٦-٢٧).

اعتماد من الرسول ﷺ على الله تعالى بأنه هو الفعَّال وحده وأنه ﷺ طاهر لا يمكن لأحد أن يتسلَّط عليه فلا خلل ولا خطأ وقع منه حتى يتسلَّط عليه أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله وحده.

فكل ما قيل عنه ﷺ من أن لبيد اليهودي سحره أو أن رباعيته الشريفة كُسِرَت في أُحُد أو ضربه أحد في الطائف إن هي إلا من دسوس كفرة اليهود الأذلاء بسبب طرده إياهم من الجزيرة العربية وكل من يأخذ بأقوالهم الخبيثة فهو منهم تشابهت قلوبهم بل كلهم أعداء الدين أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ ودسوسهم مردودة عليهم لأن القرآن نسف أكاذيبهم.

هل صلاته ﷺ على المنافقين، أم على المؤمنين والمسلمين!.. أو ليس المنافقون إخوان الكافرين!..

ومما يتصل بهذا الموضوع أيضاً صلاته ﷺ على المنافقين، فقد كان ﷺ لا يفضح أمرهم ولا يعلنه للناس رحمة بهم رجاء أن يثوبوا إلى رشدهم ويُعملوا تفكيرهم فيرجعون عن كفرهم وضلالهم. فماداموا متستِّرين لا يظهرون معارضتهم ومناجزتهم للرسول والمؤمنين فمن الحكمة أن لا تذاع سرائرهم وتفشى نواياهم ذلك ما كان يفعله ﷺ وذلك ممَّا تقرُّه السياسة والإدارة الحكيمة وما تقضي به حكمة النبوة مما استلهمه رسول الله ﷺ من ربه وبيانه وبذلك كان ﷺ إذا مات أحد المنافقين يُصلي عليه.

أما وقد أعلن هؤلاء المنافقون عند خروج رسول الله ﷺ لغزوة تبوك أمْرهم وقاموا يثبطون عزائم الناس عن الخروج للجهاد ويقولون لا تنفروا في الحر، فلذلك نهى الله تعالى رسوله ﷺ أن يُصلي عليهم لأنه لم يبق من أمل في مصانعتهم ومداراتهم وما داموا قد أعلنوا نفاقهم وجاهروا بكفرهم ومعارضتهم وإلى ذلك أشارت الآيات الكريمة في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ، وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ

مِنْهُم مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ، وَلاَتُعْجِبْكَ أَموالُهم وَأَولاَدُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[1].

ولذلك وبعد نزول هذه الآيات أخذ رسول الله ﷺ لا يصلّي على أحد من هؤلاء المجاهرين بنفاقهم وكفرهم من بعد أن فضحهم القرآن وكشف أحوالهم ولم يبق من أمل في رجوعهم إلى الحق والإيمان.

وهكذا فصلاة الرسول ﷺ عليهم في أول الأمر سياسة وحكمة ورجاء في تأليف قلوبهم وستر لأحوالهم رحمة بهم، وعدم صلاته عليهم بعد أن جاهروا إنمّا هو تطبيق للأمر الإلّهي وليس في كلا الحالتين، أدنى مخالفة أو خطأ.

أمَّا ما يزعمونه من أن سبب نزول آية: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُم مَاتَ أَبَداً . . ﴾ أن عمر بن الخطاب عارض رسول الله ﷺ في الصلاة على رئيس المنافقين فقال يا رسول الله كيف تُصلي عليهم وقد نهاك الله أن تُصلي عليهم فقال ﷺ إنّما خبَّرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُم أَوْ لاَ تَسْتَغْفِر لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِر لَهُم سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُم . . ﴾[2] وسأزيد على السبعين، فقال عمر إنه مات منافقاً، فصلّى عليه الرسول ﷺ ولم يلتفت إلى قول عمر فنزلت الآية: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ

[1] سورة التوبة: الآية (٨١-٨٥).
[2] سورة التوبة: الآية (٨٠).

أَبداً . . ﴾ موافقةً لقول عمر. فهم يريدون بذلك أن رسول الله ﷺ مع المنافقين قلباً لا مع الله، ولكن لا يستطيع مخالفة الله صراحة ومواجهة، بل يدور ويناور للتلاعب على الله تعالى وآياته.. إذن فهم يفرّقون بين الله ورسوله وتنطبق عليهم الآية:

﴿ . .ويُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ . . ﴾[1].

أقول: هذه القصة كلها لا أصل لها وقد وضعت لتبين أن سبب نزول الآية ﴿ولَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبداً . . ﴾ إنما هو خطأ رسول الله في الاجتهاد وإن اجتهاد عمر كان أصوب من اجتهاد الرسول وأن فهمه لكلام الله من آية: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ . . ﴾ كان أعلى من فهم الرسول وهذا كله ممَّا لا يقره العقل والمنطق الصحيح.

فإذا كان فهم كلام الله إنما يكون بقرب العبد من ربه وإقباله عليه، وإذا كان النَّاس يتفاوتون في هذا الفهم بقدر تفاوتهم في القُرب من الله والإقبال عليه فأنَّى لعمر أن يباري رسول الله ﷺ في هذا الميدان.

فضلاً عن أنَّ القرآن الكريم ذاته إنَّما يبيِّن عدم صحة هذه القصة لأن سبب نزول الآية: ﴿ولَاتُصَلِّ عَلَى أَحدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبداً . . ﴾.. إنَّما كان بسبب مجاهرتهم في الكفر عند تلك الغزوة كما أوردته الآيات الكريمة التي قدمناها آنفاً في هذا الخصوص.

[1] سورة النساء: الآية (١٥٠).

محمّد رسول الله الصادق الوعد الأمين

هل أخطأ المعصوم ﷺ بإذنه للمنافقين بعدم الخروج؟.

ومما يزعمونه خطأ في الاجتهاد ثم نزل الوحي مصححاً ومبيناً، إذنه ﷺ للمنافقين بعدم الخروج في غزوة تبوك.

وغزوة تبوك هي آخر غزواته ﷺ فقد بلغه أنَّ الروم جمعوا جموعاً في الشام تبلغ عدتها الأربعين ألفاً يريدون غزوه في بلاده. وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر فالصيف لما ينته، والحر قد بلغ أعلى درجاته، فأمر ﷺ بالتجهُّز للقاء العدو، ولم يتردد هنيهة في مواجهة هذه القوى والقضاء عليها بنفسه.

وخرج ﷺ بجيش يبلغ ثلاثين ألفاً وتثاقل المنافقون عن الخروج ووجدوا أنَّ خير وسيلة للتخلُّص من مشقّة الحرب وشدّة الحر في مثل تلك الأيام الصعبة هو الاستئذان من الرسول ليسمح لهم بعدم الخروج، وقال بعضهم لبعض: ﴿..لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ..﴾[1]. ثم جاؤوا رسول الله يستأذنوه غافلين عن أنَّ الله يعلم سرّهم ونجواهم.

وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله الكريم: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2] وقد أذن لهم رسول الله ﷺ بعدم الخروج.

---

[1] سورة التوبة: الآية (٨١).

[2] سورة التوبة: الآية (٤٢).

وإذا كان بعض أصحاب السيَر وبعضُ المفسرين عدّوا هذا الإذن خطأ من رسول الله ﷺ عاتبه الله تعالى عليه بما ورد في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللّهُ عنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتَّى يَتبيَّن لَكَ الَّذينَ صدَقُواْ وتَعْلَمَ الكَاذِبينَ﴾[1].

فإن هذه الآية لا تفيد أي خطأ ولا عتاب، وما زعموه إن هو إلاَّ خطأ في التفسير وهذه الآية إِنّما تدلُّ وتبين حكمة فعله ﷺ أن هذا الإذن إِنّما هو بوحي من الله تعالى إذ يقول جلَّ وعلا: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ﴾.

فكلمة (**عفا**) مأخوذة من العفو وهو محو أثر الشيء. تقول: عفا الهواء عن آثار سير فلان في الرمل، أي: محا الآثار فلم يعد لها بقاء. وعفا الله عن ذنب فلان، أي: محا أثره من نفسه. وكلمة (**عَفَا اللّهُ عَنكَ**) بحسب سير الآيات إِنّما هي خلاص رسول الله ﷺ مما كان قد يحدثه المنافقون من الفتنة إذا هم خرجوا معه في هذه الغزوة وهي تعني أيضاً أنَّ الله تعالى قد أقر رسوله على فعله.

كلمة ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ﴾ تقول: خلَّصك الله وحفظك من شر هؤلاء المنافقين وأذاهم وذلك بإذنك لهم. ثم علَّل تعالى فعل الرسول بقوله الكريم ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ أي: ما السبب الذي دعوناك به لتأذن لهم.

ثمَّ بين تعالى السبب بقوله الكريم: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ﴾.

---

[1] سورة التوبة: الآية (٤٣).

أي: إنك إنما أذنت لهم بوحي منَّا ليتبين لك المؤمن الصادق من المنافق الكاذب وليتبيَّن لك قرارهم النهائي للبتِّ بين كفرهم وإيمانهم. فبما أن المنافقين آمنوا ثم كفروا كما أورد تعالى بسورة المنافقين فهم بين حدَّين، بين الإيمان والكفر.

وبما أنهم يحضرون مع المؤمنين ويسمعون دروس رسول الله ﷺ، لذا فمن المأمول أن يصبحوا مؤمنين أو لا يصبحون فالأمر أمرهم، إذ الاختيار اختيارهم فهم مخيَّرون، فإن غلبت كفَّةُ إيمانهم وآمنوا، فتح الله على قلوبهم ونوَّرهم فاتقوا.

والعكس صحيح إن ثابروا على التعنُّتِ والتغيير حتى رجحت كفة كفرهم على كفة إيمانهم فكفروا. فباستئذانهم أعلنوا إصرارهم على النفاق وبالتالي على الكفر فأذن لهم بالبقاء وعدم الخروج لأنه لو أمرهم بالخروج وهم قد حلُّوا بساحة الكفر وغدوا من الكاذبين كما ورد بالآية، إذ لم يصْدُقوا واستأذنوا وبذا أشهروا كفرهم من حيث لا يعلمون لمِا كشفوا أمرهم باستئذانهم.

وقال تعالى مبيناً أحوال المؤمنين ثم المنافقين بقوله الكريم: ﴿لاَ يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ أَن يُجاهِدُوا بِأَموالِهِمْ وأَنفُسِهِم واللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ، إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[1].

ثم بيَّن تعالى أن فعل رسوله ﷺ كان بموافقة منه: ﴿وَلَو أَرَادُوا الخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ﴾: أي كره الله انبعاثهم معك

[1] سورة التوبة: الآية (٤٤-٤٥).

للحرب لما قد يقومون به من الأذى وتوهين الصفوف فثبّطهم وقيل لهم بوحي منه تعالى على لسانك: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

ثم وضّح لنا تعالى أذاهم لو أنهم خرجوا مع الرسول: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وأشار تعالى إلى ما فعلوه في "غزوة أحد" حين خرجت طائفة منهم مع الرسول فلما أصبحوا بظاهر المدينة انفصلوا عنه إلقاءً للفتنة وتوهيناً للصفوف فقال تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[1]: أي كارهون نصرتك وظهور الحق.

والآن إذا نحن نظرنا إلى هذا البيان الذي بيّنه الله تعالى في الآيات السابقة شارحاً فيها أحوال المنافقين ونواياهم الخبيثة وما قد يحدث من خروجهم من الأذى والفتنة، هل نستطيع أن نقول أن الله تعالى عاتب رسوله على فعله؟.

وهل من المعقول أن يبيّن الله تعالى تلك الأضرار ثم يعاتب رسوله على أن أذن لهم بعدم الخروج؟. لا شك أن القبول بهذا التناقض لا يفعله أبسط الناس، فكيف يمكننا إقراره والتصديق به في حق الله تعالى.

---

[1] سورة التوبة: الآية (٤٦-٤٨).

إن قليلاً من التأمُّل والتفكير يرينا جلياً خطأ أصحاب ذلك الزعم بما نسبوه للرسول ﷺ. وما كان منه ﷺ من الإذن إنما هو عين الصواب الذي وضَّحته الآيات الكريمة التي أوردناها بهذا الخصوص وهو المطابق تمام المطابقة للمراد الإلهي.

فمن يقول بخطأ رسول الله ﷺ وهو النبي المعصوم عن الصغائر والكبائر، ثم عفا عنه ربه فهو المخطئ بتأويل الآية، إذ قصرت به الهمَّةُ عن ربط الآيات ببعضها ليتبيَّن له كمال رسول الله ﷺ الذي لا يدانى، ومن يظن برسول الله ﷺ مثل هذا الظن فهو الذي لم يربط الآيات ببعضها ولم يفهم القصة على وجهها الحق، بل لم يفكِّر، فما ضلَّ رسول الله ﷺ وما غوى وما نطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى أفيمارونه على ما يرى، بل هو ﷺ بأفق الكمال الأعلى.

ردّ بعض ما ظنّوه عتاباً من الله لرسوله الكريم
وبيان أنه ثناءٌ ومدح بحقه ﷺ

قل إن صلاتي ونسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
(ما للهوى أمرٌ عليه ولا نهي)

ومما ينسبونه من الخطأ إلى رسول الله ﷺ زاعمين أن الله تعالى عاتبه في النقاط الثلاثة الآتية:

- قصة تحريمه ﷺ السيدة مارية على نفسه.
- قصة زواجه ﷺ بالسيدة زينب رضي الله عنها.
- قصة عبد الله بن أم مكتوم.

وهذه الأمور الثلاثة إنما أوردها القرآن الكريم تبياناً لشرف رسول الله ﷺ فتناولها أناس بخلاف ما أراد الله تعالى وبعكس ما أنزلت من أجله.. ولذلك وخشية من تحريف الكلم عن مواضعه وإظهاراً لشرف رسول الله ﷺ لا بد لنا من معالجة هذه النقاط واحدة فواحدة. ونبدأ بقصة تحريمه ﷺ مارية على نفسه فنقول: يزعمون أن رسول الله ﷺ إنما وطأ زوجته مارية على فراش زوجته حفظة[1] وفي حجرتها فلما علمت حفظة بذلك غضبت وأخذت الغيرة منها مأخذها، وهنالك استعطفها رسول الله ﷺ وأسرَّ إليها عزمه على ترك مارية وتحريمها على نفسه.. وكان كما تشير إليه تلك القصة قد مضى حين على تسريه بها.

---

[1] حفظة: كشفت الآثار عن الأصل الخطي الصحيح عن أن اسم زوجة رسول الله ﷺ هو (حفظة)، وليس ما زوّره الداسُّون على اسمها بأنه (حفصة).. وهذا الاسم موجود على الشاهدة المترامية القدم والموجودة لدينا في دمشق.

والواقع ينقض هذه القصة، فإذا كانت حجرات زوجات رسول الله ﷺ مطلات على مسجده الشريف وكان لكل واحدة منهن حجرة خاصة بها فكيف يتصوّر أن تترك مارية حجرتها وتأتي إلى حجرة حفظة؟!. وكيف يتصور أن يواقع رسول الله ﷺ مارية في حجرة حفظة وهو ﷺ المشرع السياسي الحكيم والإنسان الكامل الذي جعله الله تعالى في كماله ومروءته مثلاً أعلى للمؤمنين.

ومما يدلك على بطلان هذه القصة أيضاً قولهم أن رسول الله ﷺ حرَّم مارية على نفسه بعد التسري بها. فهل من المعقول أن يَحْرِمَ رسول الله ﷺ السيدة مارية من حقوقها ويظلمها إرضاءً لخاطر حفظة وغيرها؟. وهل يتصور أن يهجر رسول الله ﷺ السيدة مارية إلى الأبد ويبقيها على عصمته أو يطلّقها وهو الذي بيَّن للناس ما أورده القرآن الكريم من تحريم الفصل والحرمان من الحقوق وعرَّفهم أنه لا يجوز للمرء أن يهجر امرأته إلاَّ في حال نشوزها ولمدة مؤقتة، والسيدة مارية لم تجنِ ذنباً ولم تبدِ نشوزاً. وإذا كان رسول الله ﷺ يريد أن يترك مارية لتتزوج من غيره إرضاءً لحفظة وغيرها فهذا أيضاً غمط لحق السيدة مارية وإجحاف بها وما يكون لرسول الله ﷺ أن يفعل ذلك، ثم إن تزوج السيدة مارية من رجل آخر بعد الرسول فيه أذىً كبير لها.. فبهذا الزواج انحطاط بها من الأوج إلى الحضيض، إذ إن المرأة على دين خليلها وما مِثْل رسول الله ﷺ من رجل. ويؤيد ذلك تحريمه تعالى على المؤمنين التزوج بزوجات رسول الله ﷺ من بعده إبقاءً لهذا الارتباط والصلة النفسية بين رسول الله ﷺ وبينهن من بعده وما

يتبع ذلك الارتباط من الإقبال على الله، قال تعالى: ﴿..وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾[1].

وبناءً على ما قدمناه فهذه القصة التي علّلوا بها سبب نزول الآيات الواردة في مطلع سورة التحريم، أقول: هذه القصة باطلة لا أصل لها.

بقي علينا أن نورد قصة تحريمه ﷺ السيدة مارية على نفسه على وجهها الصحيح وأن نبيِّن التأويل الموافق لتلك الآيات فنقول: لما كانت السنة السادسة للهجرة وأبرم رسول الله ﷺ مع قريش صلح الحديبية، صفا له الوقت وأمكنته الفرصة فكاتب ملوك الأرض ودعاهم إلى الإسلام وكان ممن ردَّ ردّاً جميلاً المقوقس ملك مصر فقد أهدى رسول الله ﷺ طبيباً وأربع جواري منهن مارية رضي الله عنها.

وقد قَبِلَ ﷺ الهدية وذلك مما تقتضي به السياسة الحكيمة التي كانت تتمثَّل في جميع أعماله ﷺ، وفي قبول الجواري أيضاً رحمة بهن، إذ في ذلك نقل لهن من بيئة الشرك والكفر إلى جو كله توحيد وإيمان.

أما الطبيب فقد ردَّه ﷺ رداً جميلاً وقال: «**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع**».. ورسم بكلمته الشريفة هذه قاعدة من أعظم قواعد حفظ الصحة.

وقد أعجبه ﷺ من مارية عظيم فطنتها ووجد لديها من الأهلية ما يجعلها جديرة بأن تكون زوجة له، وقد كان ذلك من عادته ﷺ في اختيار الأزواج.. يختارهن فطنات ليكنّ مبلِّغات عنه ومبيِّنات للنساء ما يتعلَّق بهن من أوامر الله. ذلك هو ما جعل رسول الله يرغب في التسرّي بمارية.

[1] سورة الأحزاب: الآية (٥٣).

أما زوجاته فقد رأين في مارية تلك المرأة التي جاءت من مصر وقد أفرغت عليها الحضارة والمدنية ثوباً من الأناقة والجمال، ولذلك خشين أن يتحوَّل ميل رسول الله ﷺ إليها فتحل محلَّهن وتزاحمهن على مكانتهن عنده فاضطربن وقلقن وأخذت الغيرة مأخذها منهن. تلك هي نظرة زوجات الرسول ﷺ في مارية تباين نظرته ﷺ كل المباينة.. وخشي ﷺ أن تتغيَّر زوجاته فينقطعن عنه ويتباعدن عن الله، وبما أنهن بما عندهن من فطنة يكفينه تبليغ بنات جنسهن أوامر الله، لذلك قرَّر الرجوع عما عزم عليه من التسري بمارية، وأسرَّ ذلك لحفظة ونبأت هي زوجات الرسول وبذلك سكنت نفوسهن وعادت لها طمأنينتها.

والآن وبعد أن بيَّنا ما بيَّناه هل يستطيع قائل أن يقول أن الله تعالى عاتب رسوله على فعله؟. لا شك أن القول بالعتاب ناشئ عن عدم إدراك المراد الإلَهي من الآيات الواردة بخصوص هذه القصة، ولذلك لا بدَّ لنا من إتمام التأويل الصحيح لها فنقول: لما وجد رسول الله ﷺ أن التسرّي بالسيدة بمارية رضي الله عنها سيكون من ورائه إضرار بأزواجه، وقطع لهنَّ عن الله وبالتالي تعطيل للمصلحة العامة التي كانت تتأمن بما يقمن به من مهمة تبليغ النساء ما يتعلَّق بهنَّ من أوامر الشريعة لذلك عزم ﷺ على الرجوع عن التسري بمارية ولم يكن إذ ذاك قد لمسَها ولا لامسها أبداً وذلك إبقاءً على مصلحة أزواجه به من جهة وتأميناً للمصلحة العامة من جهة أخرى ولذلك أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه وبالأحرى للسيدة حفظة أنه حرَّم على نفسه مارية. وقد علم الله تعالى بما فعله رسوله الكريم واطَّلع على نيَّته العالية وعلم بما انطوى عليه قلب مارية من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ ولذلك أمر رسوله ﷺ بأن يرجع عن عزمه في التحريم وبين أنه تعالى غفورٌ رحيم فإذا أذعنت أزواجه للأمر الإلَهي بترك معارضة

رسوله في التزوج بمارية فهو تعالى: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: **غفور**: لهن يشفيهن مما يجدن من الغيرة إذ بطاعتهن لله يقبلن عليه فتشفى قلوبهن مما بها. **رحيم**: بهنَّ يجعلهن يرتقين في المعرفة في منازل القرب من حال إلى حال. ولذلك خاطب تعالى رسوله سائلاً إياه بقوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: أي لم حرَّمت مارية على نفسك ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: أي فعلت ذلك إرضاءً لخاطر أزواجك ليظللن قائمات بمهمة التبليغ وحرصاً عليهنَّ من التراجع عما هنَّ عليه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ثم ذكَّر تعالى رسوله الكريم بما عرَّفه به من إمكان رجوع الإنسان عن أمر عزم عليه إذا وجد المصلحة تقضي بالرجوع فقال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: أي وما دامت غايتك وقصدك من عملك رضاء الله ولذلك فهو مولاك المتولّي أمورك يهديك ويرشدك إلى ما فيه الخير.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: **العليم**: بما في نفسك من النيَّة العالية وبما في نفس السيدة مارية من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ. **الحكيم**: بفعله يسوق إلى كل امرئ ما يناسبه ثم فصَّل الله تعالى الكيفية التي حرَّم فيها رسول الله ﷺ مارية على نفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾: أي أسرَّ إلى حفظة أنه حرَّم مارية على نفسه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: أي فلمَّا أطلعت هي ضرائرها على ما أسرَّه

الرسول إليها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ﴾: أي عرَّفه بما فعلت ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾: أي عرَّفها الرسول بأنه اطلع على ما أخبرت به. ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾: أي ولم يذكر لها أنه عزم على الرجوع عن تحريم مارية: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾: أي من الذي قال لك أني حدثت ضرائري بما حدثتهن به من تحريم مارية. ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ﴾ ثم بعد أن بلَّغ ﷺ زوجته عائشة وحفظة بلغهن ما خاطبهن الله تعالى بحسب ما أوحاه الله تعالى إليه في قوله الكريم: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ﴾: أي إن ترجعا عن معارضة رسولي فيما أمرته به ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فقد مالت قلوبكما إلى الحق. ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾: أي تتعاونا على معارضته. ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ﴾: أي دليله ومرشده إلى الطريق الذي يردُّ به كيدكما إن أصررتما ﴿وَجِبْرِيلُ﴾: أي بما يوحيه إليه بواسطة جبريل. ﴿وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾: أي معينون له على رفع محبتكما من قلبه.

ثم هدَّد تعالى زوجات الرسول بقوله الكريم: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي في حال معارضة الرسول فيما يأمره الله به. ﴿أَن يُبْدِلَهُ أَزواجاً خَيْرا مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾: أي مستسلمات لأمره تعالى ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: بأن الأمر بيد الله وأن أوامره تعالى كلها خير

﴿قَانِتَاتٍ﴾: دائمات الوجهة إلى الله لا ينقطعن عنه. ﴿تَائِبَاتٍ﴾: عن كل معارضة من معارضات الرسول: ﴿عَابِدَاتٍ﴾: أي مطيعات لأمر الله.

﴿سَائِحَاتٍ﴾: سابحة نفوسهن دوماً بتجلي الله وفضله.

﴿ثَيِّبَاتٍ﴾: ميّالات بالحب لرسوله، راجعات إليه. ﴿وَأَبْكَارًا﴾ لم يسبق لهن أن تزوجن غيره ﷺ.

وهكذا فقد أذعنت زوجاته ﷺ للأمر الإلهي وبخضوعهن وعدم معارضتهن الرسول حصل لهن من القرب من الله ما جعل قلوبهن تُشفى مما بها وترقى في معرفة الله وذكر لنا تعالى هذه القصة في كتابه الكريم تُتلى إلى قيام الساعة ليُرينا أن الإنسان إذا ترك أمراً وكانت غايته من تركه رضاء الله فلا بدَّ من أن يُثيبه الله تعالى بأحسن مما فعل. فعمل الرسول ﷺ واجتهاده في هذا الموضوع كان حسناً ونيته كانت عالية لذلك رقَّاه تعالى إلى ما هو أحسن، قال تعالى: ﴿ . .وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

[1] سورة الشورى: الآية (٢٣).

أتخلّى محمّد عن ربّه فأحبّ النساء وأحبّ الدنيا بزواجه من السيدة زينب رضي الله عنها؟!.

سيدنا محمد رسول الله ﷺ الطاهر الأمين ويُتّهم بأنه "حبّاب نساء"!. إذاً ليس بطاهر على قولكم!.. والله مبرّؤه في قوله الكريم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[1]. وما صافح امرأة قط.. ويشيب المرء على ما شبَّ عليه.. علم الهدى ويُخطئ!. حاشا لله.. ويعشق غير ربّه وقول قريش والعرب: "إن محمداً عشق ربّه".. لِمَ لم يقولوا عشق النساء!. والله يقول: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[2].. وهذه شهادة الله بأنه ﷺ ما غوى.

أفلا تكفيهم شهادة رب العالمين؟!. وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**». فإن كان على زعمهم الخبيث هواه بالنساء بزينب وغيرها، فهل يأمرنا أن نكون حبّابين نساء والله تعالى يقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ . . ﴾[3]!. هل هذا منطق؟!.

يسوق بعض المتقدمين بخصوص زواجه ﷺ بالسيدة زينب رضي الله عنها قصصاً نسجتها أيدي الخيال فجاءت كما أوردوها مموَّهة لا يُصدقها امرؤ مفكّر في حق

---

[1] سورة النجم: الآية (١٧).
[2] سورة النجم: الآية (٢).
[3] سورة آل عمران: الآية (١٤).

أبسط المؤمنين وأدناهم شأناً فكيف به إذا رآها وقد نُسبت إلى أشرف الخلق ورسول رب العالمين.

وخلاصة هذه القصة كما يزعمون أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على بيت معتوقه زيد بن حارثة فوقع نظره على زوجته زينب ولم يكن زيد في بيته فوقعت زينب في قلب رسول الله وبهره حسنها فقال سبحان مقلّب القلوب.

ويروي آخرون هذه القصة على وجه آخر فيقولون أنَّ رسول الله لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار الذي على غرفة زينب فألفاها متمددة في قميصها فانقلب قلبه فجأة فكتم في قلبه ذلك إلى أن ألقى الله كراهتها في قلب زيد وأمر رسوله بزواجها.

والواقع أن هذه القصص والتي تماثل الروايات الشيطانية الغرامية والتي وردت في كتب المتقدمين ما هي إلاَّ من وضع الزنادقة الذين أرادوا أن يكيدوا للإسلام ولرسول الله ﷺ فنقلها من نقلها على بساطة منه وبدون تمحيص وبذلك اتَّخذها الإفرنج وأعداء الإسلام حجة للطعن في حق المبرَّأ ﷺ من كل نقص والسليم من كل شائبة وعيب.

ولو أنَّك درست أسباب زواجه ﷺ بزوجاته الطاهرات لأقام لكَ كل واحد منها دليلاً واضحاً على أنَّ رسول الله ﷺ ما كان بذلك الرجل الَّذي يعمل لغايات شخصية ومصالح مادية.

ولو أنك تتبَّعت تاريخ رسول الله الحافل بجلائل الأعمال، هذا الرسول الكريم الذي نقلت رسالته العالم من الظلمات إلى النور وغيَّرت وما تزال على استعداد لأن تغيِّر مجرى التاريخ من جديد، أقول: لو أنك تتبَّعت ذلك لظهرت لك افتراءات أولئك المفترين ولبدت لك الحقيقة ظاهرةً مثل وضح النهار. فما تزوج ﷺ غير خديجة إلاَّ بعد وفاتها وكان ﷺ قد تخطَّى الخمسين من العمر وما تزوَّج سودة بنت زمعة، ولم

تكن السيدة سودة من الجمال أو الثروة أو المكانة بما تجعل رسول الله ﷺ يتزوج بها لولا أنَّ زوجها توفي في سبيل الله منقطعة في تلك الديار النائية، ولم تكن زوجه زينب رضي الله عنها حين تزوج بها ذات جمال وشباب وإنّما كانت زوجاً لعبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر فعوَّضها الرسول عن زوجها بزواجه بها إكراماً لها.

ويشهد لك بغايات الرسول الإنسانية زواجه من أم سلمة التي جرح زوجها في أُحد ومات متأثراً بجراحه فلما مضت عدَّتها خطبها رسول الله ﷺ فاعتذرت بكثرة أبنائها وبكونها تخطَّت سن الشباب فتعهَّد لها رسول الله بالعناية بتنشئة أبنائها وتزوج بها لهذا الاعتبار الثاني وفي المهاجرين والأنصار من النساء من يفوقها شباباً وجمالاً ونضرة وثروة، كل هذه الاعتبارات السامية إذا أنت قرنتها بما كان ﷺ يبتغيه من الزواج بهؤلاء النساء اللاتي عرف ﷺ عنهن من الفطنة والقابلية لتبليغ بنات جنسهنَّ ما يختص بهنَّ من أوامر التشريع عرفت مكانة الرسول الكريم واستطعت أن ترد مزاعم أولئك المنحرفين عن الحق.

والآن وبعد أن تبيَّن ما تبين من أسباب دعت رسول الله ﷺ إلى التزوج بنسائه الطاهرات نستطيع أن نتعرض لقصة زواجه ﷺ بزينب ولم يكن هناك أدنى مصلحة شخصية، بل إنَّما كان ذلك لغاية تشريعية.

فقد وقف ﷺ في زواجه منها موقف المشرّع المبيِّن ما قرره الله تعالى من الحقوق، تحمَّل في سبيل ذلك ما تحمَّل، وكل ما زعموه في تلك القصة الموضوعة التي أشرنا إليها آنفاً إنَّما هو افتراءات افتروا بها على رسول الله ﷺ يُكذِّبها القرآن ذاته وإنَّك إذا تتبعت الوقائع عرفت أنّ زينب رضي الله عنها وهي بنت عمة رسول الله ﷺ إنَّما نشأت بعينه ﷺ وقد عرفها في طفولتها ولو أنه أراد التزوج بها لما أشار عليها بأن تتزوج بمعتوقه زيد.

والقول الفصل في هذه القصة أنَّ زينب رضي الله عنها لما شبَّت واستشارت رسول الله ﷺ في أمر زواجها أشار عليها بالزواج من زيد بن حارثة ولا ريب أنَّ ذلك كما ستبيّنه الآية الكريمة إنّما كان بأمر الله تعالى ووحيه. وقد شقَّ على زينب رضي الله عنها وعلى أخيها عبد الله أن تكون أخته القرشيَّة الهاشمية تحت عبد رق اشترته خديجة وأعتقه رسول الله ﷺ، لكن الله تعالى الذي علم في زينب تلك الأهلية لتحقيق هذا الأمر الصعب أراد أن يبطل تلك الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبية وحدها وأن يدرك الناس جميعاً أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلاَّ بالتقوى فأنزل الآيات على رسوله مبيناً لزينب وجوب الطاعة فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾[1].

وهنالك أذعنت زينب وأخوها لأمر الله وتزوج زيد بها. غير أنه ما كان يطيب العيش بين السيدة زينب وزوجها واشتكى زيد ذلك لرسول الله ﷺ أكثر من مرة واستأذنه في طلاقها فكان ﷺ يأمره بأن يمسك عليه زوجه وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ﴾: أي بنعمة الإيمان. ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيهِ﴾: بأن أطلقت أساره وأعتقته، ثم اتَّخذته ابناً ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾. وقد أدرك رسول الله ﷺ ضلال ما كانت عليه العرب من اعتبار المتبنى

---

[1] سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

كالابن من النسب وعرف ما ينشأ عن هذا الاعتبار من دخول المتبنى على عيال الإنسان وحريمه وما يجره هذا الالتصاق بأفراد الأسرة من المفاسد والوقوع في الزنى وضياع الأنساب.

كما عرف الحكمة الإلّهية من أمره تعالى زيداً بالتزوج بزينب وأدرك أنه لابدّ أن يأمره الله تعالى بعد تطليق زيد زينب بأن يتزوج ﷺ بها ليهدم تلك الاعتبارات القديمة الخاطئة وأن يبين للناس أنَّ المتبنى إنّما هو امرؤ غريب عن الأسرة يجوز لمن تبناه أن يتزوج بزوجته بعد طلاقها منه بخلاف الابن من النسب. كل ذلك عرفه ﷺ غير أنه ما كان يُبدي شيئاً من أوامر التشريع إلاَّ بعد نزول الوحي وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: أي وتخفي ما أدركته مما سيوقعه الله من التشريع منتظراً الوقت الذي سيبديه الله فيه لعباده. ثم وصف تعالى الحالة القائمة في نفس رسوله وما كان يجده من الصعوبة في الإقدام على هدم تلك العادة الجاهلية المتأصِّلة قبل نزول الوحي فقال تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾.

أي وتجد الصعوبة في بيان ذلك للناس، فلما أنزل الله عليه الأمر بوجوب التزوج بزينب بعد طلاقها من زيد وانقضاء عدَّتها أقدم ﷺ على تطبيق الأمر الإلّهي عن طيب نفس منه لأنه يعلم أنَّ الله أحقُّ أن يخشاه ولذلك وصف تعالى حال رسوله بعد نزول الأمر الإلّهي ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾: أي إنَّك أقدمت على ذلك متحملاً هذه الصعوبة لأنَّك تعلم أنَّ الله أحق أن تخشاه.

ثمَّ فصَّل تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾.

وبيَّن تعالى أن الرسول لما جاءه الأمر الإلَهي بالتزوج بزينب رضي الله عنها تقبل ذلك عن طيب نفس منه دون أدنى تردُّد على الرغم مما فيه من الصعوبة فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ..﴾.

وبيَّن تعالى أن هذا من صفات المرسلين كلهم فقال تعالى: ﴿..سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾.

ثم وصف الله تعالى جرأة الرُّسل في تطبيق الأوامر الإلَهية وعدم تردُّدهم وخشيتهم من أحد فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ..﴾.

وعرَّفنا بأنه لا بدَّ أن يجزيهم تعالى على اقتحام هذه الصعوبات بما يقضون به من مواقف التشريع الجريئة فقال تعالى: ﴿..وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي لا بدَّ أن يجزيهم الله على عملهم بما يتناسب ومواقفهم العالية. وأشار تعالى إلى علمه بأن البشرية مهما امتدَّ بها الزمن لم يبقَ لها أمر من أوامر التشريع التي يلزمها إلاَّ وبيَّنه لها على لسان رسوله الكريم، ولذلك فلا نبي بعده وهو ﷺ خاتم النبيين.. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ

مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1]: أي عليماً بكل شيء تحتاجه البشرية في مستقبلها، ولذلك بيَّنه لها على لسان رسوله ﷺ وختم به النبوة فلا نبي بعده إلى قيام الساعة.

وهكذا فأنت ترى أن قصة زواجه ﷺ بالسيدة زينب إنما كانت بحسب ما وضَّحته الآيات الكريمة لأغراض تشريعية أبطل الله بها بادئ ذي بدء عادة التفاخر بالأنساب وأن التفاضل قد أصبح بالإيمان والتقوى ﴿ . .إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. . ﴾[2]، ثم هدم تعالى ما كان شائعاً من اعتبار المتبنى كالابن من النسب منعاً لما قد ينشأ عن اختلاطه بالأسرة من الزنى والمفاسد.. فأمر رسوله ﷺ أن يقف هذا الموقف الجريء في التشريع.. فانظر إلى صريح قوله تعالى وانظر إلى افتراءات المفترين، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[3].

محمّدٌ صفوةُ الباري وخيرتهُ   محمدٌ طاهرٌ من سائرِ التهمِ

---

[1] سورة الأحزاب: الآية (٣٧-٤٠).

[2] سورة الحجرات: الآية (١٣).

[3] سورة العنكبوت: الآية (٤٣).

أيفضح رب العزة رسوله بعتابٍ أمام العالمين للإذلال!..

يورد بعض المفسرين في تفسير أوائل سورة عبس قصة تتلخص بما يلي: روي أن عبد الله بن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام فقال: يا رسول الله علّمني ممَّا علَّمك الله وكرَّر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت الآيات فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، وقالوا إنَّ الآية ذكرت كلمة الأعمى للدلالة على أنه أحقُّ بالرأفة والرفق أو لزيادة الإنكار كأنه قال تولى لكونه أعمى.

وأنت ترى من خلال هذه القصة أنهم يثبتون عتاب الله لرسوله فكأن رسول الله ﷺ أخطأ في انصرافه إلى القوم وتولّيه عن هذا الأعمى حتى عاتبه الله تعالى وأنكر عليه عمله. ولو أننا نظرنا لوضع رسول الله ﷺ وموقفه من القوم لوجدنا أنَّ هذه السورة "أي سورة عبس" ليس فيها شيء من العتاب، بل إن موقف رسول الله ﷺ من هؤلاء الزعماء يتطلب مثل هذا الوضع وذلك مما تقضي به السياسة الحكيمة وعمله ﷺ موافق للمراد الإلّهي تمام الموافقة.

فالله تعالى يريد أن يُصوِّر لنا مجلساً من مجالس رسول الله ﷺ التي جلس فيها يدعو الناس إلى الله وقد تبدَّت من خلال ذلك نفسية الرسول الكريم ﷺ العطوف على الخلق الحريص على هدايتهم، وأنه ﷺ يُحدِّث في مجلسه هذا نفراً من زعماء قريش ويدعوهم إلى الله، وإنه لمنصرف إلى هؤلاء الزعماء الذين يرغب في إيمانهم كل الرغبة رجاء أن ينقذهم من الظلمة إلى النور وأن يَلْحَقَ بهم إن هم آمنوا خَلْق كثير، إذ جاءه ابن أم مكتوم وكان هذا الرجل أعمى ضريراً، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ذلك الأعمى

مقبلاً نحوه عَبَسَ لا عبسة المحتقر المعرض عنه، وإنما عبسة المهتم بأمر خطير، وما ذاك إلاَّ لشدَّة حرصه على أولئك الزعماء، ثم ولّى ﷺ وجهه إليهم ومع ذلك فلم ينكسر خاطر ابن أم مكتوم لأنه لا يرى التفاته "لكونه أعمى البصر" وهو يتصدى لدلالتهم لذلك قال تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾: أي انظر أيها الإنسان إلى حرص الرسول ﷺ على هداية الخلق!. وتصوَّر حال رسول الله ﷺ مع أولئك النفر واهتمامه بهم لما جاءه ذلك الأعمى!. وعطفه السامي ﷺ على المؤمن الأعمى لئلا ينكسر خاطره بانصراف الرسول ﷺ إليهم دونه، وعبد الله لا يعلم بمن عند رسول الله ﷺ الذي وقع بين أمرين: حنانه على عبد الله بن أم مكتوم وحرصه على هداية القوم.. فما أكمل خُلُقه العظيم ﷺ!.

ثم أردف تعالى هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾.. وتفيد كلمة (**لعلّه**) حصول الزكاة أي الطهارة والذكرى إن كان المريد أي عبد الله بن أم مكتوم مهيِّئاً نفسه ومُحسناً قبل حضور مجلس رسول الله ﷺ، وقد لا تحصل الزكاة والذكرى إن لم يهيِّء نفسه قبل الحضور، فإن كان مُقبلاً واثقاً من إحسانه فهنالك وبما يسمعه منك يصبح من أهل المعروف. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: فيصبح ذا معرفة عالية. ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾: فيقوم بإرشاد غيره ودلالتهم، وقد لا يذكَّر ولا يزكَّى وذلك ما تفيده كلمة (**لعلَّه**)، وهذا الأمر أنت لا تدريه، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؟.

"وحتماً لو كان عبد الله بن أم مكتوم مُهيَّأ النفس إذ ذاك لهيَّأ له تعالى الأسباب ليذكَّر أو يخشى ولجمعه تعالى برسوله الكريم قبل مجيئهم أو بعد انصرافهم من المجلس، ولكنه تعالى جمعه مع هذا الجمع ليُرينا كمال حكمة رسوله ﷺ وحُسن تصرّفه ليكون لنا قدوة وأسوةً نقتدي به إن أصبحنا مرشدين وحدث معنا مثلما حدث معه ﷺ"، لذا فإنك انصرفت إلى أولئك الزعماء الذين هم في خطر عظيم لكفرهم رجاء أن يؤمنوا فيهتدوا ويسعدوا فاهتممت بأولئك النفر وأجَّلت الالتفات إلى ذلك المؤمن الذي لا خطر عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ. .﴾[1]: "أيها المشركون ويا زعماء قريش". ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: كعبد الله بن أم مكتوم. ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وتفصيلاً لموقف رسول الله ﷺ وبياناً إلى أن عمله مُطابق للحكمة نضرب المثال الآتي فنقول: لنتصوَّر طبيباً كان يُجري عملية جراحية خطيرة لأحد الأشخاص ابتغاء تخليصه من الموت، وفيما هو في عمله ذلك جاء رجل أبلَّ من مرضه وهو يطلب دواءً مقوياً، فهل من المعقول أن يترك الطبيب ذلك المريض صاحب العملية الجراحية الخطرة يستسلم للموت وينصرف إلى غيره؟. وهل من المعقول أن يُعاقب رئيس المستشفى هذا الطبيب على تولِّيه وانصرافه عمّن يتطلّب الدواء المقوي؟. أم أنه يشكره على عمله ويُثني عليه؟. لا ريب أن هذا المثال ينطبق على هذه الواقعة تمام الانطباق.

---

[1] سورة التوبة: الآية (١٢٨).

وإذاً فليس المراد من كلمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ذلك العتاب الذي صاغوه على ذلك الشكل وصبُّوه في قالب تلك القصة الجاهلية المموَّهة، وليس في هذه الآيات أدنى أثر للعتاب، فما أخطأ رسول الله ﷺ حتى يُعاقبه ربُّه وليس عمله ﷺ بمستحق اللوم. ولا عصمة إلاَّ لنبي، والرسول محمد ﷺ سيِّد الأنبياء قاطبة وهو المعصوم عن الأخطاء صغيرها وكبيرها، إذ لم ينقطع عن الله فالله عاصمه ومؤيده وحافظه من الخطأ والزلل وإِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، وإذا كانت بعض سور القرآن تفتتح في مطالعها بآيات تعرِّف بشأن رسول الله ﷺ وما جبلت عليه نفسه الطاهرة من خلق حميد لتربط نفس القارئ به وتقبل بمعيته على الله وهنالك تستطيع أن تدرك ما ورد في السورة من المعاني العالية فهل من المعقول أن يبدأ الله تعالى هذه السورة بعتاب أو إنكار على رسوله؟ لا شك أنَّ العتاب يثبت الخطأ إلى الرسول وبما أنَّ نفس الإنسان مفطورة على حب الكمال ولذلك فالاعتقاد بوقوع الخطأ من رسول الله ﷺ، إنَّما يباعد النفس عنه ﷺ ويحول دون إقبالها معه على الله وبذلك تعمى بصيرة الإنسان فينحط ولا يفقه شيئاً من السورة.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾: معرضاً عنك وعن سماع كلام الله ولكنه حضر للمناقشة والتحاور "ففي حضوره فرصة نادرة المثال لرسول الله ﷺ". ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾: أي تعرَّضْ بالدلالة طمعاً في إنقاذه. وهذا أمر من الله تعالى لإخراجهم من الظلمات إلى النور، لأن تبليغات حضرة الله لرسوله كلها أوامر ﴿فَاصْدَعْ بِمَا

نُؤْمَرُ.. ﴾[1]..كالقائد العام الذي يُصدر أوامره لقادة الجبهات بقوله: "أنت تتقدَّم بالجبهة الغربية"، وللقائد الثاني: "أنت تصدُّ العدو فقط دون أي تقدُّم" وأنت تباشر الهجوم الجبهي وذاك يُباشر الهجوم الجانبي وهلمَّ جره، فهذه التعليمات كلها أوامر، وجملة ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ آمرية دونما شك، فما يبلغه تعالى لرسوله يُعتبر أمراً لا مردَّ له، كذلك كل ما يبلغه الرسول الكريم للمؤمنين فهو أيضاً أمر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ.. ﴾[2].. لأنه أيضاً ﷺ الآمر الناهي.

والله تعالى يخاطبنا أيضاً على لسان رسوله بصيغة الأمر ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى.. ﴾[3]. نحن نطلب من حضرة الله طلباً أدباً مع العلي الأعلى، وهو تعالى يأمرنا نحن المؤمنين أمراً ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، كذا يأمرنا رسول الله أمراً بإذن الله ﴿..وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[4]. فالأعلى يأمر الأدنى والتنزيل من الأعلى جلَّ وعلا على رسوله لأنه تعالى هو الأعلى والرسول يصبُّ في قلوبنا القرآن من سمو علوه علينا لنسمو "أمراً"، ومن تواضع لله ولرسوله رفعه.

---

[1] سورة الحجر: الآية (٩٤).

[2] سورة النساء: الآية (٦٤).

[3] سورة النحل: الآية (٩٠).

[4] سورة الأعراف: الآية (١٩٩).

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾: فلا عليك الآن به فقد قمت بواجبك نحوه وأدَّيت ما أنت مكلَّف به. ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾: أي: طالباً الهدى. ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾: وقد حصلت له الخشية من الله. ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾: "جاءت بصيغة الأمر"، إذ أوصلت قلبه للهدى فهو مؤمن فالتفتْ عنه إليهم ليؤمنوا وحرصاً عليهم. وفي قوله تعالى السابق الذكر لرسوله ﷺ موافقة على تصرفه ﷺ الحكيم، وتثبيت وتشجيع له على الاستمرار بهذا النهج بإعطاء الأولية لذوي الخطر الجسيم، وإرجاء من بلغ مبلغ الإيمان حيث دخل بإيمانه في حصن الأمان، لوقت آخر.

وممَّا يؤكِّد ما ذكرناه أمره تعالى لرسوله الكريم ﷺ بقوله: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي آمرك يا حبيبي بالتلهِّي عنه بغية إنقاذ عبادي الضالين ولأنه اهتدى.. فهؤلاء النفر من صناديد قريش وزعمائها عميان، ﴿. . .فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

فهؤلاء الزعماء عمي البصيرة وعبد الله بن أم مكتوم بصير، مفتَّح البصيرة فلا يصحُّ أن يهتمَّ بالمبصر ويُهمل العميان الذين إذا التفتوا إلى رسول الله ﷺ كما التفت السحرة إلى سراجهم المنير سيدنا موسى ﷺ فرأوا كمالات الله وهو سراجهم المنير لهم سُبل الحقائق، تفتَّحت بصيرتهم بعد عمى فاهتدوا وسعدوا، كما سبق أن تفتَّحت بصيرة عبد الله بن أم مكتوم واهتدى وسعد فهو قد أخذ استحقاقه، أما هم فمحرومون

---

[1] سورة الحج: الآية (٤٦).

حرموا أنفسهم، والآن حضروا فهل يجوز إهمالهم وتركهم عمياناً والالتفات إلى الناجي المفتّح الذي نال استحقاقه؟. حاشا لرسول الله أن يظلم فهو العادل، لذا قام بواجبه على خير ما يرام وأثنى عليه تعالى وأقرَّه على تصرُّفه وشجعه على المثابرة على السعي لإخراج العميِ البصائر من الظلمات إلى النور، والالتفات والتولي وإرجاء من يجب إرجاءه ممّا تقتضيه الحكمة نحو الأفضل، وذلك ما يقتضيه المنطق السليم والرأي الراجح.

كما لا يخفى علينا ثناء الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ما يتنافى مع انتقاصهم لقدره ﷺ لقولهم أنه أخطأ وعاتبه الله على خطئه وحاشاه ﷺ من الخطأ والعتاب، ولو كان في قولهم أدنى صحّة، لوجدنا القرآن متناقضاً ولكان فيه اختلاف كثير ﴿..وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[2].. ألا إنهم هم أخطؤوا ولكن رسول الله ﷺ لم يخطئ.

﴿كَلاَّ﴾: أي: ليس الأمر بشديد عنايتك وعظيم اهتمامك بهم وبه.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: أي: إنما أنت مكلَّف بالبيان والتذكير، وإنما عليك البيان وعلينا الحساب.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: أي: إنني أعطيت الخلق الإطلاق، ومنحتهم حرية الاختيار فمن شاء وأقبل ذكر ما تتلوه عليه من البيان وعرف قدر خالقه وموجده وأنه لا فرق

(1) سورة القلم: الآية (٤).
(2) سورة النساء: الآية (٨٢).

عندي بين فقير وغني وضعيف وقوي.. الخلْق كلهم عبادي وقد أعطيتهم مشيئة الاختيار، ولعل الضعيف المقبل يأتي منه خير كثير، فيكون هادياً ومرشداً، ولعل القوي المدبر إن تولى وكفر ولم يصغِ إلى نصحك لا ينتفع منه أحد ولا ينتج عنه خير بسبب إعراضه وكفره وما عليك أيها الرسول سوى التذكرة والبيان وابدأ بالأهم فالمهم، فكل امرئ إنما هو مسؤول عن نفسه وما أنت إلاّ نذير مبين، وبعد بيانك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وإذاً فليس في هذه الآيات كما نرى شيء من لوم ولا عتاب وإنما بيان لحرص رسول الله ﷺ على الخلق وشديد اهتمامه بهم كما هي تشريع وبيان، بيان من الله لرسوله ﷺ ولكل مرشد من بعده بما أُعطيه الإنسان من حرية الاختيار، وأن هذه الإرادة المطلقة التي مُنحها الإنسان من حرية الاختيار لا يستطيع أحد أن يوجّهها إلى جهة ما مهما جَهِدَ وتَعِبَ ما لم تتّجه هي بذاتها "أي النفس المخيَّرة" فتتعرَّف إلى خيرها من شرِّها.

وما الأنبياء المرسلون ولا الهداة والمرشدون إلا أدلاَّء مذكِّرون. قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا . . ﴾[1].

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

---

[1] سورة البقرة: الآية (١٤٨).

[2] سورة النساء: الآية (١١٥).

أقول: وقد ساق الله تعالى عبد الله بن أم مكتوم إلى مجلس رسول الله ﷺ في مثل هذا الظرف الذي كان يحدِّث به أولئك الزعماء ليُظهر تعالى لنا هذه الحقيقة، وليعرِّفنا بما أُعطيه الإنسان من حرية الاختيار، وليجعل من رسول الله ﷺ مبيّناً لشريعته كما في قصة زواجه ﷺ بزينب زوجة متبناه، إذ أمره الله تعالى بذلك ليُبطل ما كان شائعاً في الجاهلية من سبل الضلال والفساد الناشئ عن التبنِّي.

وبعد أن بيَّن لنا تعالى في الآيات السابقة ما تحلَّى به قلب رسوله الكريم ﷺ من الرأفة، وما اصطبغت به نفسه ﷺ من الكمال الإنساني في رحمته بالخلْق عامة أراد تعالى أن يبيِّن لرسوله ﷺ أن هداية الإنسان أمر منوط بالإنسان ذاته ومتروك إليه وحده وما على الرسول ﷺ سوى التذكير والبيان ولذلك قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: وتريد كلمة (**كلا**) في هذه الآية أن تخفِّف عن الرسول ﷺ بعض ما يجده من الحزن على الخلْق، وأن تسرِّي عن نفسه ما بها من الضيق بسبب عدم موافقة قومه له في الخروج من الظلمات إلى النور والسير في طريق الإيمان.. كما تريد من جهة ثانية أن تبيِّن لرسول الله ﷺ ما منحه الله للإنسان من حرية الاختيار. ويكون مجمل ما نفهمه منها: أي ليس الأمر بتودُّدك ومداراتك وليست هداية الخلق بمتيسِّرة لك ما لم يُقبلوا هم بأنفسهم على خالقهم ويتطلّبوا الهدى بذاتهم.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ . .﴾[1]: أي: من يريد الهداية لنفسه. فإن شئت أيها الإنسان الهدى وأقبلت على خالقك هداك بنوره وإن أنت أعرضت عن الله فما لك من هادٍ.

---

[1] سورة القصص: الآية (٥٦).

الفصل الثاني

هل سيدنا محمّد ﷺ "كما يقولون" مخلـوق بشــري شــاذ!...

مع أنّه فُضِّل علينا:

باجتــهـــــــــــــــــــــاده..

وصدقــــــــــــــــــــــــه..

وحبّـــــــــــه لربِّـــــــــه..

وعظيم إقباله عليه تعالى..

الرد على قولهم أن رسول الله ﷺ وُلد مختوناً

نبدأ الآن بالردِّ على ما أورده المتقدمون في حق رسول الله ﷺ من غلوٍّ ومبالغات زعماً منهم أن ذلك لازماً لكمال النبوة وأدعى للإيمان برسالة الرسول ﷺ غافلين عن أن إيراد مثل هذه الأمور المخالفة لسنن الكون والتي يأباها العلم والعقل، كثيراً ما يزيغ لها قلوب فريق بدلاً من أن يزدادوا بها إيماناً وتثبيتاً.. فهم يقولون أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً، مقطوع السُّرة، وأن إبطه الشريف كان لا شعر عليه إلى غير ذلك من الأمور المادية المتعلِّقة بالجسد والتي لا علاقة لها بحياة الرسول الإنسانية السامية التي بلغت أسمى ما يستطيع أن يبلغه إنسان من إقبال على الله وحب وتقدير لهذا الخالق وما ينتج عن ذلك من سمو النفس وكريم الخلق والحرص على هداية الخلق إلى غير ذلك مما له الاعتبار والشأن بالنسبة لمقام النبوة والرسالة.

وردّاً لهذا الغلو وتبياناً لوجه الحقيقة لابدَّ لنا من أن نقدم كلمة نستند إليها في تبيان خطأ الذين أوردوا هذه الأقوال فنقول: يقول الله تعالى في كتابه العزيز في مطلع سورة الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

[1] سورة الملك: الآية (٣-٤).

والذي نفهمه من كلمة **(مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفَاوُتٍ)** أي: ليس شيء في هذا الكون بأنقص حظّاً من غيره وأقل منه في تمام الخلقة.

فما النحلة بأقلّ شأناً من البقرة ولا الأسد بأكمل خلْقاً من الهِرَّة، بل إنّما أعطي كل حيوان ومخلوق من الأعضاء المناسبة لوظيفته ما جعله في أكمل وضع وأتم خلق ولو أنَّ عضواً من الأعضاء تبدَّل ولو تبديلاً طفيفاً لما استطاع أن يقوم بوظيفته على الوجه الأتم.

وما ذكرناه في حق الحيوان ينطبق على سائر المخلوقات ولا يخرج عنه شيء في هذا الكون ولذلك قال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾: أي انظر مدققاً في هذا الكون فهل ترى من نقص أو خلل. ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: أي مهما دققت لا تستطيع أن تجد نقصاً بل يعود إليك بصرك مهزوماً متقهقراً غير ظافر برؤية نقص أو خلل.

وبعد أن قدمنا هذه الكلمة في كمال الكون ننتقل للنقطة التي نحن بصددها فنقول: لقائل أن يقول لماذا خلق الله تعالى جلدة الختان للإنسان عندما يكون جنيناً في بطن أمه وإذا كان وجودها كمالاً في الخلقة فلم أُمرنا بقطعها؟. أمّا إذا كانت زائدة لا عمل لها فَلِمَ خلقها الله تعالى للإنسان في بطن أمه ثمَّ أمره بأن يقطعها بالاختتان (الطهور) بعد ولادته؟. هل هذا يدل على علمٍ ورحمة من الله لهذا الإنسان والله تعالى هو الرحمن الرحيم.

للإجابة على هذه الأسئلة نقول: من المعلوم أن جسم الإنسان يتكوَّن من اللحم والعظم والعصب، ومن المتعارف عليه أن الشخص العصبي لا يربّي جسدهُ صحةً، فهو يبقى دائماً نحيلاً.. فمهما تناول المرء ذو المزاج العصبي من الغذاء وعدّد من الوجبات الغذائية فإنه يظل نحيلاً، ومن المعلوم أنه في بطن الأنثى يكون الجنين في التسعة أشهر في مرحلة خطيرة لأنه يكون أثناء البناء التكويني الحيوي الأساسي.

ومن المعلوم أن منطقة البَشَرَة منطقة تجمُّع أعصاب شديدة التنبُّه والتأثُّر، تتأثر بأي احتكاك فتُسبِّب تنبُّهاً عصبياً عامّاً في كل أنحاء الجسد كونها مجمع لعقد عصبية مكثَّفة، وبما أن مكان الجنين في الرحم ضيِّق متناسب مع حجم الجنين ويكون الجنين بوضع انحناء وانطواء على ذاته وتزداد حركته بالأشهر الأخيرة فتحرِّك أعصاب البَشَرَة ويتعرقل نمو جسد الجنين.

هذا الاحتكاك الذي يحدث في الأشهر الأخيرة ينتج عنه أن يكون بناء الجسد ضعيفاً كونه سبباً في الهدم الخلوي أو يؤدي إلى نقص ما في النمو فتكون تلك الحشفة **(جلدة البَشَرَة)** بمثابة واقٍ تحمي هذه المنطقة من أن تتأثر بأية صدمة ينتج عنها احتكاك جراء حركة الجنين داخل رحم أمه، وبالتالي يكون بناء الجسد سليماً كاملاً.

أما بعد خروجه فقد قطع الشوط الأخير ودخل الآن في نوع جديد من الحياة مختلفاً كليّاً عن حياته السابقة لأن جسم الجنين قد انفرد بعد انطواء، فلا احتكاك للجسد مع أعصاب البَشَرَة ولا حاجة بعد ذلك إلى تلك الحشفة، فمن الكمال الآن إزالتها لأنها موجودة في منطقة غديّة ينتج عنها إنتانات مما يسبب تجمُّع الأوساخ والميكروبات والجراثيم تحت الحشفة مؤدِّياً إلى التهابات جلدية حادة.

ونجمل ما قد ذكرناه فنقول: خلق الله تعالى جلدة الختان للإنسان عندما يكون جنيناً في بطن أمه لأن هذا العضو الذي جعله الله تعالى مخرجاً للبول جعله وبسبب وظيفة ثانية له مركَّباً من نسيج ذي ألياف عصبية متشابكة أحكم التشابك، وبما أن نهاية هذا العضو التي تسمى (**الحشفة**) أكثر تحسُّساً وحساسيةً، فإذا كانت عرضة للاحتكاك بشيءٍ أدّى ذلك إلى توتُّر عصبي وبالتالي إلى تنبُّه عام في الجملة العصبية، ومن المقرَّر والمسلَّم به أن هذا التوتر والتنبُّه يرافقه ما دام موجوداً توقُّف النماء، لذلك من ضرورة نماء الجنين في بطن أمه وتكامله وجود غشاء حائل يحول بين رأس هذا العضو وبين ما قد يلامسه أو يحتك به أثناء حركة الجنين المتتالية في بطن أمه.. وبهذه الصورة يطَّرد النماء بصورة طبيعية ويولد الجنين صحيح البنية نامي الأعضاء كامل الخلقة.

أما وقد بيّنا فائدة وجود جلدة الختان وضرورتها لصحة تكوين الجنين فلننتقل إلى النقطة التالية وهي الأمر بالختان بعد الولادة فنقول:

إذا خرج الجنين إلى هذا الوجود ودارت أجهزته تعمل في وظائفها وبدأ مجرى البول يقوم بدوره في طرح الإفراز البولي وذلك مما يؤدي إلى بعض التعفُّنات والتخرُّش أو الظاهرات المرضية في بعض الأحيان، ولذلك أمر الله تعالى بالاختتان حرصاً على سلامته من هذه المزعجات.

وإذاً فوجود جلدة الختان ضروري للجنين في بطن أمه وهو ممَّا يدل على كمال الخلْق والتنظيم الإلَهي البديع، كما أنَّ قطعها بعد الولادة والخروج إلى حيِّز الوجود ضروري ورحمة من الله تعالى لهذا الإنسان.

والآن وبعد أن بيّنا ما بيّناه نستطيع أن نرد بحق قول من قال: أن رسول الله ﷺ وُلد مختوناً لأن التسليم بهذا يدل على نقص في نمائه ﷺ وعدم كماله في تكوينه الجسمي، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان أكمل الناس خلْقاً وأقواهم جسماً وأشدُّهم بُنيةً.

قال رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: الاستحداد (حلق العانة) "والختان" وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر**»[1].

عن ابن عبد البر ثنا أبو عمرو وأحمد بن محمد بن أحمد أن محمد بن عيسى حدّثه، قال ثنا يحي بن أيوب بن زياد العلاف ثنا محمد بن أبي السري العسقلاني ثنا الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن عطاء الخرساني عن عكرمة عن ابن عباس: «**أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه، وجعل له مأدبة وسمّاه محمداً**» كتاب (المودود في أحكام المولود) لابن قيم الجوزية.

ويقول ابن القيم الجوزية في كتاب "تحفة المودود في أحكام المولود": والعوام عند العرب ينسبون النقص في الخلقة بجلدة الختان ناسبين ذلك إلى نقصان القمر، ويعتبرون الولادة بذلك نقصاً لأنه لا يختتن.

وكما في كتاب الشفاء للقاضي عياض: «**ختن النبي ﷺ جده في اليوم السابع لولادته**».

وحين دخل امرؤ القيس على قيصر عظيم الروم في الحمّام فرآه مختوناً بخلْقه الطبيعي فعيّره بها فقال:

**إني حلفت يميناً غير كاذبة		لأنت الأغلف إلاّ ما جنى القمر**

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

وهجاء امرئ القيس من الأسباب الباعثة لقيصر عظيم الروم على أن دسّ السم لامرئ القيس فمات.

هذا والعرب تعتبر المختون بالطبيعة نقيصة يُعيَّر بها، وترى الفضيلة في الختان نفسه وتفخر به. فهل يقبل عاقل بأن يوصم أكمل الخلق خلْقاً وخُلُقاً بهذه النقيصة!..

اللهم اهدِ قومي كي يعلموا.

الرد على قولهم أنّ رسول الله ﷺ وُلد مقطوع السرة

فهذا أيضاً ممَّا لا مجال للردِّ عليه للتطويل والزيادة في الإيضاح فإذا نحن عرفنا وظيفة حبل السرة وأدركنا أنه هو همزة الوصل بين الجنين وأمه وأنَّ حبل السرة هو الطريق الذي يأتي منه الدم الذي يحمل الخير والغذاء من المشيمة المتصلة بالأم إلى الجنين أقول:

إذا نحن أدركنا هذا استطعنا أن نردَّ بصورة لا تقبل الجدل أنَّ رسول الله ﷺ لم يولد مقطوعِ السرة لأنه لا يتصور أن ينمو جنين ويتكامل ولا صلة بينه وبين أمه وأنه لا يمكننا أن نقبل بهذا إلاَّ إذا نحن سلَّمنا بأنَّ رسول الله ﷺ كانت ولادته بصورة غير طبيعية انقطع معها حبل السرة وهذا مما لم يثبت لدينا في وجه من الوجوه.

وإذاً فهذا الزعم أيضاً باطل وهو لا يقلُّ في بطلانه عن الزعم الذي سبقه في شيء.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ..﴾[1]: أي مثلكم بالخلْق والتكوين والهيئة، ولكنه تعالى فوّقني بإقبالي العالي عليه وصدقي الكامل معه، وعطفي الشامل على عباده وخلْقه.

---

[1] سورة فصلت: الآية (٦).

الرد على قولهم أن إبطه الشريف ﷺ لا شعر عليه

بقيت علينا النقطة الثالثة وهي قولهم أنَّ إبطه ﷺ كان لا شعر عليه ومنشأ هذا الزعم عدم إدراك ما أوجده الله تعالى من الكمال في خَلْقِ هذا الإنسان. فكأنهم يرون أنَّ الشعر تحت الإبط وفي مواضع أخرى من الجسد إنَّما يخرج من تلقاء ذاته وأنه زائد لا فائدة منه وكأن الفخر لشخص، عدم وجود الشعر في جسمه.

ورداً على قولهم هذا نقول: لنتصور آلة من الآلات التي اخترعها الإنسان فهل يتصور أن تجد في هذه الآلة دولاباً أو سناً أو لولباً زائداً لا عمل له؟. لاشك أنك تجزم بأنه لابد لكل جزءٍ من الأجزاء صغيراً كان أم كبيراً من عمل ووظيفة، تُسلِّم بذلك تسليماً سواءً أدركت أم لم تدرك الحكمة من وجود ذلك الجزء لأنك تعلم أنَّ هذا الإنسان المفكر الذي اخترع هذه الآلة لا يتصور أن يصرف الجهد عبثاً في إضافة جزء لا فائدة منه لهذه الآلة فإذا كان هذا ظننا بالإنسان وهو ذلك المخلوق الضعيف فما ظننا برب العالمين الذي خلق الإنسان من طين ثمَّ سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد؟. هل هذا الخالق العظيم الذي خلق الكون كله على أبدع نظام وخلق الإنسان في أحسن تقويم يوجد لهذا الإنسان أعضاء زائدة لا فائدة منها؟. لا شك أنَّ العقل والمنطق الصحيح ينفي ذلك ومع هذا لابدَّ لنا من كلمة نبيِّن فيها أنَّ هذا الشعر الذي جعل الله تعالى له منابت في جهات مختلفة من جسم هذا الإنسان له وظائف وهو دليل على كمال الخَلْق فنقول:

من المعلوم أنَّ الجلد ذلك الثوب المحيط لجسم الإنسان من جميع الجهات كما يحفظ الجسم من المؤثرات الخارجية وحفظه من دخول الجراثيم والأجسام الغريبة إلى الدم، له

إلى جانب ذلك وظائف أخرى يؤديها لهذا الجسم ففيه غدد تفرز مادة دهنية تُليِّن هذا الجلد دوماً وتحفظه من التشقق وفيه غدد عرقية تفرز العرق، بإفرازه يبقى الجسم محافظاً على حرارته حتى في أيام الصيف الحارة، كما أنَّ هذا العَرَقَ من جهة ثانية يعطي طرحه نشاطاً عظيماً للجسم لأنه يحوي من السموم ما لا يجوز بقاؤها. وفي الجلد أيضاً الشعر وهو موجود في مناطق معروفة كالرأس والحاجبين والأجفان ونضيف إليها تحت الإبط والعانة عندما يبلغ الإنسان الحلم وقد قرأنا أنَّ الشعرة مجوفة وهي أشبه بأنبوب من أنابيب المدافئ التي تطرح الدخان وبقايا الاحتراقات ولهذا يؤدي الشعر وظيفة هامة للجسم بما يقوم به من مساعدته على التنفس وطرح الغازات المتراكمة فيه، كما أن له وظائف كلنا يعلمها بالنسبة للرأس والحاجبين والأجفان وباطن الأنف. أمَّا الإبط فبما أنه كثير التعرق وحيث إنه أقل تعرُّضاً للهواء من غيره من المناطق ولذلك كثيراً ما يؤدي هذا العرق المندفع بسبب ما فيه من مواد إلى تعفُّنات وتخرشات وتولُّد الجراثيم. ولولا وجود الشعر تحت الإبط لتسرَّبت هذه الجراثيم إلى الداخل وفعلت ما تفعل غير أنَّ الشعر بما يقوم من الدفع المتواصل للغازات المتراكمة في الجلد إلى خارج الجسم يحول بسبب هذا دون تسرُّب العرق وما فيه من السموم إلى الجسم وقد ندب الشارع إلى نتف شعر الإبط لئلاَّ تتراكم عليه الموادُ المندفعةُ مع العَرَقِ فتسبب تلك التعفنات مع العلم أنَّ البقية الباقية تحت الجلد وهي المسماة ببصلة الشعرة تؤدي نفس الوظيفة التي تؤديها الشعرة في عدم السماح بدخول العرق وغيره من المواد الغريبة إلى الجسم. إنَّ هذه الوظيفة التي يؤديها شعر الإبط في الحؤول دون تسرُّب العرق للجسم إنَّما يؤديها أيضاً الشعر النابت في العانة وعند الشرج فهو يمنع تسرُّب العرق في العانة والنجاسة المندفعة من الشرج إلى الجلد وأنَّ الشارع أمر بحلق

شعر العانة حلقاً لأنَّ الحلق أنفع في هذه الجهة وأدعى للقوة... ولعلك تقول لماذا جعل الله تعالى اللحية والشاربين للرجل وحرم المرأة منهما فنقول: لما كانت الحكمة الإلَهية حضَّت الرجل بالعمل خارج المنزل للكسب على العيال والخروج للحرب لنشر الحق، وناهيك بما في ذلك من التعرُّض للغبار وما يحمله من الجراثيم لذلك ومن الرحمة الإلَهية أن خلق الله تعالى اللحية للرجل لتردَّ عن فكَّيه تلك المؤثرات أثناء عمله حفظاً للفكين ومنعاً من تسرب الجراثيم إلى منابت الأسنان. وأمر الشارع الرجل بأن يطوّل لحيته حتى تصل إلى القبضة لأن الزيادة عن هذا الحد تجعل من العسير على الشعرة أن تدفع الغاز المار بها إلى خارج الجسم كما أنَّ قصرها عن القبضة لا يعود يحفظ الفك من المؤثرات لأن رقة جلد الوجه تجعل منابت الشعر قليلة المقاومة في الجلد ولا بدَّ للشعرة مع منبتها وبصلتها من الطول الكافي لتستطيع ردَّ الجرثوم الداخلي ومنعه من التسرب بخلاف شعر الإبطين والعانة فإن بُعد منابت الشعر وغوره في الجلد يساعد على التخلُّص من الجرثوم الداخلي والقضاء عليه.

أمَا شعر الشاربين فيقوم باجتذاب الغبار الداخل إلى الأنف أثناء التنفس فهو يشترك مع شعر الأنف في وقاية الرئتين من دخول الغبار والهباء المنتشر في الهواء والذي يتعرض إليه الرجل خلال قيامه بمختلف الأعمال خارج المنزل. أمّا المرأة فبما أن الحكمة الإلَهية خصتها بتربية الأطفال ووهبتها من العاطفة والحنان ما يساعدها على القيام بهذه المهمة خير قيام وحيث إنها بحسب اختصاصها في التربية وكونها عوناً للرجل بالقيام بأعباء الحياة إنَّما تعمل داخل المنزل محفوظة من المؤثرات التي يتعرض لها الرجل وبما أنَّها مأمورة بالحجاب إذا ما اضطرت للخروج من المنزل رعايةً لها وإبقاءً على كيان الأسرة وشرفها وحفظاً لها من التصدُّع لذلك خلقها الله تعالى بدون لحية

ولا شاربين لأن طبيعة عملها في المنزل لا يتطلب الشعر في الوجه كالرجل. والآن وبعد أن بيَّنا ما بيَّناه عن الشعر ووظائفه فلا يظننَّ ظان أننا خرجنا عن موضوعنا في البحث إذ إنَّ بيان الكمال في خلق الإنسان هو ضرورة من ضرورات بحثنا هذا.ورؤية الكمال في كل ما خلقه الله تعالى في الإنسان تجعلك ذا بصر نافذ وفكر ثاقب تستطيع به أن تردّ مالا يقبل بهِ العقل ولا يرضاه العلم وتستطيع أن ترد قولهم بأنَّ رسول الله ﷺ وُلد مختوناً وأنه وُلِد مقطوع السرة وأن إبطه الشريف كان لا شعر عليه لأنك أصبحت ممن يرى ذلك مخالفاً لسنن الكون كما يدل على نقص في تركيب الجسم وليس كما يزعمونه من أنه يدل على الإكرام والتشريف.. هداهم وأصلحهم الله.

حادثـة شـق الصـدر
ما بعد شق الصدر إلا الموت (قصة مختلقة)

من الزائد بل الممل أن نتصدى للردِّ على جميع النقاط التي فيها غلو ومبالغات في حقِّ الرسول عليه السلام. ولولا أنَّ حادثة شق الصدر لها مكانتها في هذا الصدد لضربنا عن ذكرها صفحاً إذ حسبنا ما أوردنا من أمثلة وردود ولا يصعب على من وهبه الله نظراً نافذاً وفكراً صحيحاً أن يدقق في كل ما يسمعه من هذا القبيل فيرد مالا يرضى به العلم وينقض كل ما لا يوافق عليه العقل السليم.

وحادثة شقّ الصدر كما ورد في كتب السيرة تتلخص بأنَّ الرسول ﷺ لما عادت بهِ مرضعته السيدة حليمة السعدية ثانية إلى البادية ولمّا بلغ الثالثة من عمره. كان يوماً مع أخيه بالرضاع في بُهْمٍ لهم خلف بيوتهم إذ عاد أخوه الطفل السعدي يعدو ويقول: ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه.

ويروى عن حليمة أنّها قالت عن نفسها وزوجها، فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً ممتقعاً وجهه فالتزمته والتزمه أبوه بالرضاع "أي زوجها" فقلنا له مالك يا بني؟. قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني فالتمسا شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو. وتروي كتب السيرة بهذا الصدد أنَّ حليمة ردَّته إلى أمه بعد هذه الحادثة على الفور، هذا ولا يطمئن لهذه القصة جماعة من المسلمين أمّا نحن فردّاً عليها نقول:

إذا رجعت إلى عنوان هذه القصة في كتب السيرة وجدته يشير إلى شق الصدر وإذا ذهبت تدقق في صيغة اللفظ الوارد فيها وحيث أن الشق إنما وقع على البطن فالطفل السعدي يقول: "فأضجعاه فشقا بطنه"، فيروي الرسول عن نفسه كما يقولون: "فأضجعاني فشقا بطني" وعلى هذا يجب أن تسمى الحادثة شق البطن لا الصدر.وإذا كان المراد من شق البطن إخراج حظ الشيطان كما جاء في بعض الروايات فالتعبير بكلمة (شقّا بطني) فيه خطأ كبير لأن موضع وسوسة الشيطان هو الصدر حيث النفس التي يتولد فيها الحقد والحسد وسائر العلل المعنوية أما البطن فموضع الطعام والشراب وهو يشتمل على الأحشاء التي تعمل في هضم الطعام. وقد أشار تعالى إلى موضع النفْس من الإنسان إنما هو الصدر في مواطن عديدة من القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ . .إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]: وذات الصدور إِنَّما هي النفس كما أشار تعالى إلى أن الوسوسة إِنَّما تكون في الصدر حيث النفس المستقرة فيه فقال تعالى في سورة النَّاس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

وهكذا فالتصديق بحادثة شق البطن فيه خروج عن الصواب وتناقض تام وعدم التمييز بين البطن مستقر الأحشاء وموضع الطعام والشراب، وبين الصدر مستقر النفس التي تنشأ فيها العلل المعنوية كالغل والحسد.

---

[1] سورة المائدة: الآية (٧).

وبما أنَّ معرفة هذه الفروق لا تخفى على أبسط الناس علماً وأدناهم معرفة ففيها التناقض والضلال البيِّن وعدم التقدير لرسول الله نسبة هذه الأقوال الخاطئة له ﷺ.

إذاً فهذه القصة لا أصل لها ويشهد العلم ببطلانها وتشهد معرفة رسول الله ﷺ العالية بكذبها وافترائها عليه.

وإذا كانت بعض الروايات بصدد هذه الحادثة تختلف عن الرواية التي أوردناها بأنَّ الملكيْن شقَّا قلب الرسول وطرحا منه علقة سوداء أو أخرجا منه الغل والحسد وأدخلا فيه الرأفة والرحمة فنقول في الردِّ على هذه الرواية الثانية: أنّ معنى ذلك أنَّ الغلّ والحسد موضعهما هذا القلب المادي المركب من اللحم والمعلَّق في الصدر بواسطة الشرايين والأوردة.

وبما أنَّ الغل والحسد إنما هي أعراض وأمراض نفسية وحيث أنَّ موضع هذه العلل تلك النفس المعنوية لا ذلك القلب المادي. أمّا القول بأنَّ الملكين شقّا قلب الرسول وأخرجا منه الغلّ والحسد فهو مردود أيضاً؟. ثمَّ إنّ هذه القصة فضلاً عمَّا أوردناه عليها من الردود فيها أيضاً طعن بالرحمة والعدالة الإلّهية فهي تستند إلى أن الملكين شقّا قلب الرسول وأخرجا منه علقة سوداء هي حظ الشيطان من الرسول وإلى أنَّهما طرحا الغل والحسد فيَا ترى من الّذي خلق هذه العلقة السوداء والغل والحسد في قلب الإنسان حتى جاء الملكان وشقّا قلب الرسول وطرحا العلقة والغل والحسد؟. فإن نحن قلنا أنّ هذه الأشياء وجدت من تلقاء نفسها فهذا مردود إذ ما من موجود إلاَّ وله موجد.وإن نحن قلنا اكتسبهما ذلك الإنسان منذ طفولته فهذا أيضاً مردود لأن الطفل الصغير ما يزال نقي النفس بريء القلب طاهراً من كلِّ دنس نفسي ولم يبقَ لدينا إلاَّ أن نقول أن الله تعالى هو الذي خلق العلقة وأوجد الغل والحسد في القلب وهذا أيضاً مردود لأنه

يتنافى مع الرحمة الإلَهية لأنَّهُ إن ثَبتَ أنَّ الله تعالى خلق علقة سوداء في الإنسان وجعلها سبباً في تسلُّق الشيطان عليه ثم طلب منه بعد ذلك أن يُخلِّص نفسه من الشيطان وفي ذلك ما فيه من الشدة والحرج، والتكليف فوق الطاقة والإمكان ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا . .﴾[1].

وكان الأوْلى بأن لا يخلق هذه العلقة ويجعل الإنسان في نجوةٍ من كل هذه المزعجات. وهو يتنافى مع العدالة الإلَهية أيضاً لأنه يقرِّر أنَّ الله تعالى أخرَجَ حظّ الشيطان من قلب الرسول بأن أرسل له ملكين كما وردَ في القصة. فيا تُرى إذا كان الله تعالى حظى الرسول بذلك وأبقى سائر القلوب على حظّ الشيطان والغلّ والحسد أفلا يعترض هذا الإنسان يوم القيامة بين يدي ربّه فيقول: يا رب هذا رسولك طهَّرت له قلبه وأخرجت منه حظ الشيطان فكان على ما كان عليه من الصفة العالية ولو أنّك طهَّرت لي قلبي وأخرجت لي منه ما أخرجته من قلب رسولك لكنت طاهراً طيباً ولما وقعت في معصية من معاصيك وبما أنَّ الله تعالى رحيم عادل تقضي رحمته بأن يخرج كل إنسان طاهراً نقياً إلى الدنيا وتقضي عدالته بأن لا يميز بين إنسان وإنسان إلاَّ بحسب سعيه وكسبه فهذه القصة على سائر رواياتها باطلة ولله الحجة البالغة. وأخيراً إذا كان الله تعالى كما يقولون هو الَّذي طهَّر قلب رسوله وأخرج حظّ الشيطان منه فما فضل الرسول وما ميزته على غيره مادام لم يبذل مجهوداً في هذا السبيل؟. وعلى وجه المثال نقول:

[1] سورة البقرة: الآية (٢٨٦).

هب أنَّ مُعلِّماً طرح بعض الأسئلة على طلابه ثم جاء وجعل يلقّن أحد طلابه الأجوبة الصحيحة حتى تفوَّق على الآخرين فكان السابق الأسبق.. فما تقول في حق هذا المعلم ألا يُعدّ ذلك محاباة منه وخروجاً عن العدالة؟. وماذا تقول في حق هذا التلميذ، هل له فضل وميزة على غيره؟ وإذاً فلا صحة لكل ما يروى من هذا القبيل وتعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

الفصل الثالث

الطريق الوحيد لتطهير النفس وتحليتها بالفضائل

بقي علينا أن نُبين في هذا القدر كيفية تولُّد الغل والحسد وسائر العلل المعنوية في النفس كما أنه من الواجب علينا أن نبين كيفية التخلُّص من هذه العلل والوصول إلى تطهير النفس منها وتحليتها بالفضائل والكمالات الإنسانية فنقول: خلق الله تعالى الإنسان وأخرجه إلى هذه الدنيا نقياً طاهر القلب نفسه كالمرآة الصافية أو الصفحة البيضاء التي لم ينقش عليها شيء وإلى ذلك يُشير الحديث الشريف في قوله ﷺ: «كُلّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطرَة..»[1].

كما تُشير الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَأَقِم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا . . ﴾[2].

وما يزال الإنسان نقي النفس حتى يبلغ الحلم ويصل إلى سن الرشد، وفي هذه المرحلة يصبح أمام طريقين اثنين:

- فإما أن ينهج طريق الإيمان.
- وإما أن ينهج طريق الكفر والإعراض.

فإن هو آمن بالله حق الإيمان وأقبل بكل قلبه عليه فهنالك تشتق نفسه من الله تعالى منبع الكمال وموئل الفضائل كلها، ويُنقش فيها الكمال فيغدو هذا الإنسان إنساناً

---

[1] الجامع الصغير-٦٣٥٦. (ع طب هق) (صحـ).

[2] سورة الروم: الآية (٣٠).

كاملاً فاضلاً متحلّياً بالكمالات الإنسانية مشحون القلب بالرحمة والرأفة والرضاء عفيفاً طاهراً صادقاً أميناً سخياً كريماً شجاعاً جريئاً عادلاً محسناً مشغوفاً بعمل الخير عطوفاً على الخلق يتمنى الخير لكل إنسان.

كل هذه الكمالات وسائر الكمالات الإنسانية تنتقش في نفس هذا المؤمن بصورة لا شعورية وتصطبغ بها بصبغة من الله: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً..﴾[1].

وهكذا وبنسبة هذا الإقبال تزداد هذه الإنطباعات بالفضائل والكمال ولذا كان رسول الله ﷺ أعظم الناس رحمة وأشدَّهم على الخلق إشفاقاً ورحمة وعطفاً وأكبرهم من الفضائل حظاً.. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ..﴾[2].

﴿واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ..﴾[3].. لهذا نال رسول الله ﷺ الرحمة وسائر الكمالات.

تلك هي الطريق الوحيدة إلى نيل الكمال التي سلكها الصحابة. وكان حظُّهم من هذا الكمال متناسباً مع إقبالهم فكان منهم السابق والأسبق والمجلي في هذا الميدان. وكل مؤمن بحسب إقباله يتبع ذلك الركب الأول الأمثل فالأمثل. أما الذي يصل إلى سن الرشد والتمييز ولايستعمل تلك الجوهرة الثمينة التي زيَّنه الله بها ورفع شأنه على الحيوان لا بل على سائر ما خلق الله. هذا الإنسان الذي لم يعمل تفكيره في الوصول إلى

---

[1] سورة البقرة: الآية (١٣٨).

[2] سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

[3] سورة النحل: الآية (١٢٧).

الإيمان بالله فلا شك أنه يظل محروماً من الإقبال على الله وينشأ من الإعراض وعدم الإقبال عدم التقدير لفضل الله وإحسانه ذلك المعبّر عنه بكلمة (**الكفر**).

وبسبب الكفر والإعراض عن الله تتولَّد في النفس العلل المعنوية من غل وحقد وحسد وقسوة قلب وحرمان من الرحمة وحب للتعدي والظلم إلى غير ذلك من الرذائل والصفات المنحطة الذميمة وهنالك يدلك الشيطان إلى النفس التي امتلأت بهذه العلل وأضحت مشحونة بالخبث يزين لها سوء أعمالها فيراها حسنة وتلك العلل المتولِّدة في النفس المعرضة هي حظ الشيطان من الإنسان.

ومن أحسن الأمثلة للأنفس في هذا الموضوع مثل غرفتين إحداهما معرَّضة لنور الشمس والأخرى مظلمة محرومة منها فلا شك أنَّ الأولى تتعرَّض لنور الشمس فتصبح طاهرة نقية ولا شك أنَّ الثانية بحرمانها من النور تنبت فيها الجراثيم والعفونات وتغدو خبيثة الرائحة ملوثة الهواء. ذلك هو مثل الأنفس في إقبالها على الله وبعدها وإعراضها عنه فالمقبلة عليه تعالى تصبح طاهرة نقية تتولد فيها الفضائل وتنطبع فيها الكمالات. والمعرضة عنه تعالى يتولَّد فيها الخبث وتنشأ فيها العلل المعنوية المنحطة.

غير أنَّ هذه النفس المعرضة التي وهبها الله تعالى من الاستعداد ما تستطيع به أن تتراجع عن غيها لا يأساً من شفائها مما هي مصابة به فالأمر موكول إلى هذا الإنسان وحده قال تعالى: ﴿ . . إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . ﴾[1].. فإن رجع الإنسان إلى نفسه بالتفكير واهتدى من وراء تفكيره إلى خالقه فأناب إليه وأقبل عليه تعالى بكليته فهنالك يمسح النور الإلٓهي بالصلاة صفحات النفس فيعيد إليها

[1] سورة الرعد: الآية (١١).

طهارتها ونقاءها ويرجع بها إلى فطرتها. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وهكذا فالمسألة مسألة إقبال وإدبار فمن فكَّر وأناب وأقبل على الله تعالى تحلَّت نفسه بالفضائل وطهرت من العلل وامتلأت بالكمال ومن استكبر وأعرض انحطَّت نفسه وتدنَّت وتلوثت بالعلل المعنوية والأدران.

[1] سورة الروم: الآية (٣٠-٣١).

الإيمـان "بالقرن العشرين".. وكيفية الوصول إليه

ليس المقصود بالإيمان بالله تعالى الاعتراف بوجود الخالق ذلك الاعتراف القولي الذي يدور على ألسنة العامة من الناس لأن مجرَّد الاعتراف بوجود الخالق لا يُسمَّى إيماناً وهو لا يغرس في قلب صاحبه مكرمة أو يكسبه فضيلة أو ينتزع من نفسه خبثاً كما لا يدخله في الآخرة جنة أو يقيهِ ناراً. وقد ضرب لنا تعالى على ذلك إبليس مثلاً وذكر لنا في القرآن الكريم اعترافات إبليس بوجود خالقه وإقراره له بالربوبية والعزة فقال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَومِ الدِّينِ ، قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرنِي إِلَى يَومِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ ، إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ ، قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾[1].

ففي الآية الأولى اعتراف منه لخالقه وفيما يليها إقرار بربوبيته ثم أقسم بعزّة الله ومع ذلك كله وصف تعالى إبليس بأنه من الكافرين وأنَّ عليه اللعنة إلى يوم الدين. وكذلك اليهود ما كان اعترافهم بخالقهم ليردَّهم عن طغيانهم قال تعالى: ﴿وإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا

[1] سورة ص: الآية (٧٥-٨٣).

بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وإذاً فليس الإيمان بالخالق اعترافاً قولياً إنَّما هو شعور داخلي ولَّده في النفس بحث ذاتي وتفكير متواصل فجعل صاحبه يسبح في جلال الله تعالى ويخر ساجداً لعظمته وهكذا فالإقرار النفسي المقرون بذلك الشعور والتذوق المنبعث من قرارة النفس هو الإيمان الصحيح وما سواه مما يتلقنه الإنسان من أبيه وأمه أو البيئة التي ينشأ فيها تلقُّناً ولا ينبعث في النفس متولِّداً عن نظر وتفكير ما هو بالإيمان المطلوب.. ولكن كيف يتولَّد هذا الإيمان الذي هو أساس طهارة النفس وتحليتها بالكمالات الإنسانية في نفس الإنسان وكيف يشعُّ في قلبه؟.

أقول: لقد خلق الله الإنسان وميَّزه كما ذكرنا من قبل على سائر المخلوقات بتلك الجوهرة التي يستطيع أن يتوصل بها للكشف عن الحقيقة وأعني بهذه الجوهرة التفكير.

ثمَّ إنَّ الله تعالى جعل هذا الكون وما فيه من آيات بينات ونظام بديع وحكمة بالغة بين يدي الإنسان كتاباً مفتوحاً يستطيع أي إنسان كان إذا نظر فيه مدققاً وتفكَّر مُتأمِّلاً أن يعظِّم هذا الكون تعظيماً يهتدي من ورائه إذا كان صادقاً في طلب الحقيقة إلى معرفة خالقه والإيمان به والخشوع له وهكذا فمعرفة المربي هي النبراس الذي يصل بالإنسان إلى مشاهدة الحقيقة وهي السبب الوحيد في الوصول إلى الخير والسعادة.

وقد وهب الله النَّاس جميعاً الفكر تلك الأداة التي يستطيعون بواسطتها أن يصلوا إلى معرفة خالقهم ومربيهم، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة وبثَّ في هذا الكون مالا

---

[1] سورة البقرة: الآية (٩١).

يحصى من الآيات التي تساعد الفكر على البحث والاستدلال، فمن استفاد من هذه الجوهرة الثمينة، وأشغل فكره وأعمله في معرفة خالقه ومربيه فقد ظفر بالسعادة وفاز، ومن أشغل هذا الفكر وأعمله في السعي وراء المكاسب الدنيوية، وتأمين الشهوات الدنية فقد خاب وخسر هذه الحياة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُم جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ، خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[1].

وينطوي تحت كلمة (الإيمان) نقاط إذا توصَّل إليها الإنسان كان إيمانه صحيحاً منجياً مولِّداً في نفسه الكمال، وأعني بتلك النقاط أن يتوصَّل الإنسان بفكره إلى أن له خالقاً خلقه وأوجده على هذا الكمال. وأن هذا الخالق هو المربِّي القائم على تربية الإنسان والمتكفِّل بكل احتياجاته ورزقه، وأن ينتهي به تفكيره أخيراً إلى أن خالقه ومربِّيه هو الإلّه المسيِّر الذي بيده مقاليد الأمور كلها، وسير المخلوقات جميعها، فما من حركة في الكون إلاَّ وهي راجعة إليه وما من سير إلاَّ به. فإذا تحقَّقت هذه النقاط في نفس الإنسان كان إيمانه صحيحاً، أما الذين يعتقدون بوجود الخالق اعتقاداً لم يرافقه تحقُّق النفس من هذه النقاط التي ذكرناها فليس إيمانهم بالإيمان الصحيح ولا

---

[1] سورة الكهف: الآية (١٠٣-١٠٨).

المنجّي من الهلاك، ولا المكسِّب للفضائلِ والقيمِ الإنسانية التي تسمو بالإنسان إلى الكمال الإنساني لينهض بأخته بالإنسانية وأخيه إلى السعادة.

وقد أشار تعالى في القرآن الكريم إلى الطريق التي يستطيع أن يتوصَّل بها الإنسان إلى هذه النقاط التي يتم التفكير بها للوصول بالأصول: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[(١)].

فهذه الآية الكريمة إنما تعرِّفك بآن واحد بخالقك ومربِّيك ومالكك وإلهك "مسيِّرك" فإذا رجعت إلى نفسك لما كنت جنيناً في بطن أمك فلا بدَّ أنَّه ستتوارد عليك طائفة من الأسئلة فتقول: من الذي خلق هذه النطفة وأوجدها؟. ولا شك أن تفكيرك يعرِّفكَ بأنَّ خالقاً أخرجك من طيَّات العدمِ إلى الوجود وجعلكَ في هذا المستودع الأمين.. من الذي جعل يربِّي هذه النطفة وينميها حتى تطورت من علقة إلى مضغة إلى أن أصبحت إنساناً سوياً؟. إن هذا يعرِّفك بأن لك مربِّياً أمدَّك بالغذاء شيئاً فشيئاً وأحاطك برعايته حتى تموْتَ متدرِّجاً من حال إلى حال. وأخيراً تجد نفسك أمام الجواب على سؤال إذ تقول من الذي كان يقلبني من طور إلى طور، فمن نطفة إلى علقة ومن علقة إلى مضغة ومن مضغة إلى عظام إلى أن أصبحت مخلوقاً كاملاً وإنساناً سوياً. إن هذا التطور والتحوُّل لا بدَّ له من مقلِّب محوِّل، وهذا التسيير

(١) سورة الزمر: الآية (٦).

والتحويل لا بد له من مسيِّر ومحوِّل، وعندئذ تؤمن بأن الخلْق والتربية والتسيير كل ذلك أشرفت عليه عين ساهرة، ورعته ورعت الخلائق كلها معه عناية واحدة، وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة التي قدمناها في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.. هذا ولكن هذا النوع من التفكير الإنساني السامي الذي به تستأنس النفس بخالقها ربها فتتشرَّب منه تعالى صفات الكمال وليستأنس بهذا الإنسان المؤمن كلّ مخلوق لا يتمّ ولا يكون ما لم تخف النفس من فراق الدنيا الذي لا بدَّ منه، عندها تُعرض آنياً عن الشهوات الدنية وتصدق في طلب معرفة موجدها موجد الكائنات، عندها تحوِّل النفس شعاعها للفكر الذي سرعان ما يرسم لها مخطَّط الإيمان فالوصول لمبدع الكائنات خالق الجنَّات.

إن الوصول إلى هذه النقطة الهامة وهي معرفة الإنسان أن له خالقاً مربياً وإلَهاً مالكاً مسيراً هي الخطوة الأولى في طريق الإيمان.. فإذا استطاع الإنسان أن يخطوها انفتح أمامه أفق جديد من البحث وهو السعي وراء معرفة من هو هذا الخالق المربِّي والمالك المسيِّر وذلك ما حكاه الله تعالى لنا في القرآن الكريم ضارباً المثل في هذا البحث بسيدنا إبراهيم ﷺ، فما أن هداه تفكيره إلى أن له خالقاً مربياً وإلَهاً مسيِّراً حتى انطلق يبحث عن هذا المربِّي ويتساءل من هو صاحب العناية البالغة والإمداد المتواصل، فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربِّي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، إذ ما يكون لهذه العناية الساهرة على تربيته أن تنقطع عنه أو تغيب. ولو أنها غابت عنه لحظة واحدة لانقطع عنه إمدادها ولسرى إليه العدم والفناء. أرأيت إلى ذبالة الشمعة إذا انقطع عنها إمداد الشمع ما يكون مصيرها؟. لا شك أن شعلتها تنطفئ لساعتها ولا

يعود لنورها بقاء، وإذن فما عليه حتى يصل إلى معرفة خالقه ومربِّيه إلاَّ أن يستأنف البحث من جديد.. واستمرَّ ﷺ في بحثه فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل، قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فما القمر الذي غاب عنه نوره بإلهه ومربِّيه. ثم واصل ﷺ بحثه، ومن كان صادقاً في طلبه لا يني ولا يفتر. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون.

لقد شاهد ﷺ أن هذه الأجرام السماوية ليست عليه دائمة الإشراف، إنها تغيب مختفية وراء الآفاق، إنها مرتبطة مع غيرها بنظام كامل شامل تدبِّر أموره وتشرف عليه يد واحدة.. إنما ربه هو الذي يمدُّ الشمس والكواكب والقمر والذي عمَّ إمداده السموات والأرض.. إن ربه هو خالق الكون كله وإلهه ومربِّيه، فما من حركة في الكون إلاَّ به وهو وحده المتصرِّف لا يشاركه في ذلك أحد سواه وذلك ما تعبر عنه كلمة (لا إله إلا الله).. أدرك سيدنا إبراهيم ﷺ ذلك كله وهنالك قال معبِّراً عما في نفسه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ..﴾. وهدَّدوه فأجابهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1].

---

[1] سورة الأنعام: الآية (٧٩-٨٢).

وهكذا فالإيمان سعيٌ كسبي لا يتوارثه الابن عن أبيه ولا يأخذه المرء عن البيئة أو المجتمع الذي ينشأ فيه، فلتكن بيئة الإنسان مهما كانت كافرة ملحدة، ولتكن أسرته مهما كانت جاهلة معرضة.. فخلْقه وتركيبه كافٍ لأن يوقظ تفكيره وينبِّهه، وهذا الكون وهذا النظام الذي يسير عليه مرتبطاً بعضه ببعض كافٍ لأن يعرِّفه بهذه اليد الحكيمة المدبِّرة والإرادة المسيِّرة، والذات الرحيمة التي شملت عنايتها وتدبيرها الكون كله.. فإذا توصَّل الإنسان إلى هذا الإيمان فعرف خالقه وإلَهه ومربيه، وأدرك أنه تعالى هو المسيِّر لشؤون الكون كله فلا إلَه إلا الله، وما من متصرِّف أو مسيِّر سواه، فهنالك تخشع نفسه لربِّها وتخشاه وتدخل في حصن حصين من الاستقامة فما تستطيع أن تخرج عن أمره تعالى في شيء، وبهذا تُقبل نفس هذا المؤمن على ربِّها واثقة من رضائه عنها فتصلِّي وتحصل لها الصلة وتشتق منه تعالى الكمال. ذلك هو الذي توصَّل إليه سيدنا إبراهيم ﷺ وما ضرَّه أنَّ أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام.

وذلك هو الذي بدأ به سيدنا محمد ﷺ طريقه لاسيما بغار حراء، وما زال يتدرَّج فيه ويعرج في الكمال من حال إلى حال، حتى بلغ سدرة المنتهى ووصل المقام الذي لم يدانِه فيه إنسان.. تلك هي الطريق الوحيدة للوصول إلى الكمال وما سوى ذلك مما يزعمونه من حادثة شق الصدر وإخراج حظ الشيطان إنما هي ترَّهات وأوهام.. فسبيل الإيمان واضحة جلية وطريق الكمال مفتوحة لكلِّ نفسٍ صادقة.. تلك هي الطريق التي سلكها سيدنا إبراهيم ﷺ وجميع الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم من المؤمنين، وقد

أمر الله تعالى جميع عباده بسلوكها واقتفاء أثرها ليلحقوا بأولئك السابقين الأولين من الأنبياء والمرسلين: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فكلمة (من يشاء) أي كل من شاء بصدق وسلوكية إيمانية، والإيمان بالملموس والمحسوس.. فدين الإسلام دين حقائق لا مجرَّد كلام. الإيمان الذي يُنتج شهوداً لنور الله نوراً غير منبعث عن المادة أو عن الأضواء الكونية نوراً أشد وأسمى من كافة الأنوار المادية، نوراً تشاهده النفس المؤمنة يقيناً فتشهده بعين البصيرة لا بعين الرأس وبه ترى جمال الله وعظمة الله وكمال الله وتتشرَّب الكمالاتِ الإنسانية فتأنس بالله ويأنس بها كل مخلوق.

وبسلوك طريق الإيمان العملي آتى تعالى المرسلين والنبيين ما آتاهم، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[2].

والحمد لله ربِّ العالمين

---

[1] سورة الأنعام: الآية (٩٠).

[2] سورة الأنعام: الآية (٨٨-٨٩).


esa
دار نور البشير
طباعة . نشر . توزيع
www.amin-sheikho.com
www.thingsnotsaid.org